

جامعة المنيا
كلية الدراسات العربية

السبئية
أخطر الحركات الهدامة في صدر الإسلام

تأليف
الدكتورة / نادية حسنى صقر

الناشر
مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلى باشا بالقاهرة

القاهرة
١٤١٢هـ - ١٩٩١م

٤٧٣

اهداءات ١٩٩٨

مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع
القاهرة

MAFAN

11574

NC

جامعة المنيا
كلية الدراسات العربية

السبئية

أخطار الحركات الهدامة في صدر الإسلام

١- السبئية (غزة السبئية)

٢- الغزوة السبئية

تأليف

الدكتورة / نادية حسنى صقر



General Organization of the Alexandria
Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

الناشر

مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلى باشا بالقاهرة

المكتبة العامة لاسكندرية	
297.83	م. ن. ٩. ٣
١٤٩١	١٤٩١

القاهرة

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ
وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا
الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ
وَرُهَبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ .

» سورة المائدة آية ٨٢ «

10/10/2020

3

مقدمة

عقدت كلية الآداب بجامعة الزقازيق بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية ندوة الحركات الهدامة في التاريخ الإسلامي ، واستغرقت الندوة من ٢-٤ من جمادى الأولى ١٤١١هـ الموافق ٢٠-٢٢ من نوفمبر ١٩٩٠م. وكان لى شرف الإسهام ببحث في تلك الندوة. وقد اخترت موضوع السبئية لما له من أهمية بالغة في تاريخ الإسلام والمسلمين..

أخذ اليهود يعارضون الإسلام والرسول خاصة بعد تحريم الربا الذي كان يدر عليهم ربحاً عظيماً وأدرك اليهود أن الإسلام إذا ما استمر على هذا المنوال في المدينة من التوسع والانتشار فسيقضى على عقيدتهم وهي عقيدة لا تعترف بقيام نبي من غير بنى إسرائيل ولا بكتاب غير التوراه. والإسلام يرفض نظريتهم القائلة بأن النبوة بدأت وانتهت في بنى إسرائيل

شعر اليهود أن الإسلام سوف يحد من سلطانهم لامحالة ، وأن ملكهم سيزول خاصة بعد أن أيقنوا من سيادة الإسلام على شبه الجزيرة العربية.

وحّد الإسلام العرب فخرجوا به على البلاد المجاورة . ولا يتمثل التيار الإسلامى في نشر العقيدة الإسلامية ، بل يتمثل في تحقيق سيادة الإسلام ، وتخجير الناس بين قبول الدين أو دفع الجزية والخضوع . فإلى الإسلام يعود إنتصار العرب وهو سر تفوقهم فقد كان قوة دافعة للشعب العربى تحفزه على إجتماع الكلمة لذلك رأى اليهود أن يتصدوا لهذا الدين .

فالإسلام مستهدف منذ ظهوره وحتى اليوم من اليهود ومن يساندونهم ، وما الصراع العربى الإسرائيلى إلا مظهراً من مظاهر العداء الدفين والقديم للإسلام والمسلمين . فاليهودية تحت مسميات مختلفة مازال - كما فعلت في الماضى - توغر صدور المسلمين ضد بعضهم البعض، وتستعدى عليهم جميع القوى العالمية.

وهناك محاولات للتشكيك في وجود شخصية عبد الله بن سبأ الذى تنتمى إليه السبئية ، وما محاولات التشكيك في شخصية ابن سبأ إلا للتعمية على دور اليهود القديم والحديث في نفس الوقت.

ومن يحاول التشكيك في وجود ابن سبأ إنما يعتمد في محاولته تلك على أن سيف بن عمر التميمى روى أخبار عبد الله بن سبأ وأن سيف بن عمر التميمى

هذا رواية مُجَرَّح . وهذا برهان واهى ودليل ضعيف لا يعتد به إطلاقاً، وذلك لأن أخبار ابن سبأ وصلت إلينا عن طريق روايات أخرى بعيدة عن سيف بن عمر. فقد أورد ابن عساكر عدداً من الروايات لا ينتهى سندها إلى سيف بن عمر وكلها تتناول ابن سبأ. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد جاء ذكر ابن سبأ فى كتابات مؤرخى القرن الثالث مثل ابن حبيب المتوفى ٢٤٥هـ وابن قتيبة المتوفى ٢٧٦هـ والجوزجاني المتوفى ٢٥٦ - ٢٥٩هـ وابن عاصم المتوفى ٢٨٧هـ فى كتاب السنة وأبو يعلى الموصلى المتوفى ٣٠٧هـ وغيرهم.

ومن المصادر المشهورة التى أوردت ذكر ابن سبأ الحافظ والقمى والنوبختى والبغدادى والشهرستانى والأشعرى الذى يقول عنه: "يهودى احترقت أحشاؤه من نصر الله تعالى للمؤمنين فاصطنع الإسلام وهو يضمر أن يكيد له ، ذلك هو عبد الله بن وهب بن سبأ المعروف بابن السوداء" . وغيرهم كثير. من ذلك يتبين أن وجود شخصية ابن سبأ قضية محسومة ولا تحتل الشك ولا يجدى فيها التشكيك الذى يهدف إلى إخفاء دور اليهود قديماً فى محاولة يائسة مستميتة للتعتيم على دورهم حديثاً فى الصراع العربى الإسرائيلى كما أن هناك العديد من المستشرقين المنصفين الذين تحدثوا عن ابن سبأ مثل يوليوس فلهوزن وجولد تسيهر وبيطروشوفسكى وهوتنج وآدم ميتز وغيرهم.

وبعد أرجو أن أكون قد وفقت فى تسليط الضوء على مدى خطورة السبئية التى وإن كانت تضرب بجذورها فى عمق التاريخ الإسلامى إلا أن إنعكاساتها على مسرح الأحداث المعاصرة تتضح وتتأكد يوماً بعد يوم.

والله الموفق

د. / نادية حسنى صقر

تمهيد

ب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقيام الخلافة كانت قد تمت وحدة العرب سياسيا وصارت لهم دولة، هي دولة الإسلام.

قامت دولة الإسلام وامتدت الفتوحات الإسلامية وبدأت تخفق رايات الإسلام في أفريقيا وآسيا وانهارت دولتي الفرس والروم أمام المد الإسلامي. رأى اليهود في شبه الجزيرة العربية - والذين يعادون الإسلام منذ ظهوره - أنه لاسبيل للقضاء عليه وعلى دولته، ويشسوا من إحراز نصر صريح عليه في حربهم له وجها لوجه ، أو الوقوف أمامه جيشا لجيش، فإن أسلافهم بني قريظة، وبني النضير وبني قينقاع قد فشلوا في ذلك وأخفقوا كل الإخفاق. في الوقت الذي كفل لهم الإسلام حرية العقيدة والعبادة ، ورغم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد عاهد اليهود وأحسن معاملتهم إلا أنهم خانوا عهده وغدروا به وتآمروا على المسلمين في معركة الخندق حين طوقت قريش المدينة لحرب محمد والمسلمين . وتكرر غدر اليهود محاولين عبثا قتل الرسول وتصفية الدعوة الإسلامية.

لقد تحققت سيادة الإسلام على العالم مما أثار حقد اليهود عليه. وهم الذين يرمون إلى السيطرة على العالم. وهذه الفكرة حلم يداعب خيالهم منذ تحطيم دولتهم في أورشليم . ويؤكد البروتوكول الرابع عشر من بروتوكولات حكماء صهيون ذلك المعنى^(١).

(١) محمد خليفة تونسى : الخطر اليهودى . بروتوكولات حكماء صهيونية.

جاء الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ورأى إخراج اليهود من شبه الجزيرة العربية فنقلهم إلى سوريه وغيرها بعد أن عوضهم، وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم " لا يجتمع بالجزيرة دينان " (١) ولم يعد يسمح لدين غير الإسلام بالحياة في شبه الجزيرة العربية. اللهم إلا في جنوب الجزيرة حيث كانت هناك بعض الجاليات اليهودية (٢) وجاء قرار عمر هذا مما زاد في حقد اليهود ودفعهم لضرب الإسلام بأساليب خفيه تعتمد على الدس والتآمر والخداع وتلك أمور يجيدها اليهود. منذ أقدم العصور.

وقد جاء في البروتوكول الأول مايلى :
" يجب أن يكون شعارنا كل وسائل العنف والخديعة " . ثم يسترسل قائلاً :
" يجب أن نتمسك بخطة العنف والخديعة من أجل المصلحة والنصر. وفي نفسى البروتوكول يقول: " يتحتم ألا نتردد لخطة واحدة في أعمال الخديعة والخيانة إذا كانت تخدمنا في تحقيق غايتنا.
وفي البروتوكول الخامس أيضاً تكرر الحديث عن الخديعة في معرض حديثه عن أساليب اليهود في السيطرة على الجماهير والأفراد فذكر منها الدهاء وكل أنواع الخديعة.

ظهر عبد الله بن سبأ فخطط هو ويهود صنعاء ليشعلوا الفتنة بين المسلمين فتظاهروا بحبهم وولائهم لعلى. وتشيعوا له ونجحوا في تكوين فرقة مـسـسـة

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٢٨٣.

محمود شاكر : التاريخ الإسلامى ج ٣ ص ٢١٣.

(٢) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ص ١٠٧.

المسلمين ^(١) إسماء المنافقين فعلا هدفها الإضرار بالإسلام والدس في عقيدته السمحاء بنشر بعض العقائد اليهودية ، ظاهرها الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ^(٢) . وباطنها إبعاد المسلمين عن تعاليم محمد صلى الله عليه وسلم ^(٣) وعن روح الإسلام ، وتعطيل الشريعة الإسلامية ووقف حركة الفتوح وما يتبعها من إنتشار للعقيدة الإسلامية وإتساع لنفوذ دولة الإسلام . والبروتوكول الرابع عشر ^(٤) يؤكد ويوضح مدى عداؤهم للأديان والأمم غير اليهودية.

ادعوا الإسلام كذبا ودخلوا قلعته مع جنوده خلصة وأدخلوا في الإسلام ما ليس فيه وألصقوا برجاله ما لم يكن فيهم .. أيدي خبيثة عملت على هدم دولة الإسلام بإيجاد الخلاف وتوسيع شقته بين المسلمين . فقسمتهم إلى شيعة وسنة . ثم بعد ذلك إلى فرق شتى تشعبت من كل فرقة فرق عدة تختلف في أصل العقيدة وتتناحر في الآراء وتكفر بعضها بعضا .

وكما جاء في البروتوكول الأول من بروتوكولات حكماء صهيون أن " تبدأ المنازعات والإختلافات التي سرعان ماتتفاقم فتصير معارك إجتماعية وتندلع النيران في الدول ويزول أثرها كل الزوال . وفي البروتوكول السابع يقول : " يجب أن ننشر في سائر الأقطار الفتنة والمنازعات والعداوات المتبادلة " .

(١) إما متظاهرين أو الكثرة المخدوعين بحب على وأبنائه.

(٢) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٤٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٧٧ .

(٤) محمد خليفة تونسى : الخطر اليهودى . بروتوكولات حكماء صهيون .

نشأة السبئية

السبئيون أتباع عبد الله بن وهب بن سبأ الذي كان يعرف بابن السوداء ، وهو يهودى يعنى من صنعاء ^(١) أظهر إسلامه فى خلافة عثمان رضى الله عنه ، وقد قرأ فى كتب الأديان عن اليهودية والنصرانية والإسلام وكان يكثر من المناقشات الدينية. فالسبئية فرقة أنشأها اليهود لتقوم بدور هدام ضد الإسلام كدولة وعقيدة ونظام إنتصر وأخذ يسود العالم آنذاك ، وعلى ذلك فهم إحدى الحركات الهدامة فى صدر الإسلام.

تناول البغدادى السبئية بقوله: " السبئية أظهروا بدعتهم فى زمان على رضى الله عنه ، فقال بعضهم لعلى: أنت الأله فأحرق على قوما منهم ونفى ابن سبأ إلى سابات المدائن وهذه الفرقة ليست من فرق المسلمين لتسميتهم عليا ، إلها" ^(٢) ، وهم بذلك إنما ادخلوا مبدأ الحلول على الإسلام ^(٣) أى حلول روح الاله فى على ويؤكد الطبرى ذلك فيقول " كان عبد الله بن سبأ رأس الغلاة من الشيعة فلم يكتفى فقط باعلان حقوق على بل أضفى عليه مقام الألوهية ^(٤) .

ولما قتل على زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن عليا وإنما كان شيطانا تصور فى صورته وأن عليا صعد إلى السماء مثل عيسى بن مريم عليه السلام وأنه

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٤٠. الأشعرى : مقالات الإسلاميين ص ١١.

فلهوزن : أحزاب المعارضة فى صدر الإسلام ترجمة عبد الرحمن بدوى ص ١٧٠.

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢١. الشهرستانى : الملل والنحل ج ١ ص ١٧٤.

(٣) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٥٥ ، ابن خلدون : المقدمة ص ١٩٨.

(٤) الطبرى : الأمم والملوك : حوادث سنة ٣٥هـ.

آدم ميتز : الحضارة الإسلامية ج ١ ص ١٢٧.

سينزل إلى الدنيا. وزعمت السبئية أن علياً في السحاب وأن الرعد صوته والبرق سوطه وهم حين يسمعون الرعد يقولون: "عليك السلام يا أمير المؤمنين" (١).

وعبد الله بن سبأ أول من أشهر القول بفرض إمامة عليٍّ وأظهر البراءة من أعدائه وكان يقول في عليٍّ ما كان يقول وهو عليٌّ يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى لذلك قيل أن الرفض مأخوذ عن اليهودية. ولما بلغه نعي عليٍّ كذب ذلك وقال: "لو جئتنا بدماعه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل ولا يموت حتى يملك الأرض" (٢) ويلاًها عدلاً كما ملئت جوراً.

أخذت هذه الفرقة تنشر بين المسلمين عقائد تنافي عقائد الإسلام، وإن كانت هذه الفرقة تنتمي إلي المسلمين إسمًا إلا أنها تعمل على تدمير الإسلام والأضرار به والنيل منه، وقد تبرأ منهم عليٌّ في حياته وعذبهم (٣) وأبغضهم بنوه من بعده، ويمرور الزمن غابت تلك الحقيقة عن المسلمين. وبذلك نجحت اليهودية الماكرة في ضرب العقيدة الإسلامية وإفسادها بدس بعض الأفكار اليهودية (٤).

(١) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٣٣ وما بعدها.

(٢) النويختي : فرق الشيعة ص ٤٣ وما بعدها . الشهرستاني : الملل والنحل ج ١. ص ١٧٤.

أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ج ١ ص ٤٢.

(٣) ابن قتيبة: المعارف ص ٦٢٢. ابن عبد ربه: العقد الفريد ج ٣ ص ٤٠٤.

البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٣٣.

(٤) الأشعري : مقالات الإسلاميين ص ١١.

إحسان الله ظهير: الشيعة والسنة ص ٢٠. أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ج ١ ص ٤٠.

ومن الجدير بالذكر أن فلهوزن^(١) يرى في السبئية حركة يهودية المنشأ كما أن زعيمها يهودى العقيدة يبنى النسب وذلك لغرابة إسمه. كما يؤكد كارل بروكلمان^(٢) وجود جاليات يهودية في جنوب الجزيرة العربية آنذاك وإستمر وجودهم حتى بعد صدور قرار عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

والسبئية حركة مناوئة للإسلام ودولته ونظمه وحضارته لها قياداتها ودعاتها، قامت على منهج فكرى له أهدافه ومراميه تم تنفيذه على مرحلتين كبيرتين. وقد نجح المخطط لحد كبير وأتى ذلك المنهج الفكرى ثماره.

ففى المرحلة الأولى: أثيرت الأمصار على المدينة، وأثيرت القبائل على قريش وضاعت هيبة الخلافة وصار من الممكن تكرار الثورة على شخص الخليفة أيا كان بعد مقتل عثمان كما أثيرت الشكوك فى القرآن كمصدر للتشريع الإسلامى وتوقفت حركة الفتوح الإسلامية ووُضعت السلطة فى يد الغوغاء.

ولعل ماجاء فى بروتوكولات حكماء صهيون يؤكد مائقول . فقد جاء فى البروتوكول الأول : " خير النتائج فى حكم العالم ماينتزع بالعنف والإرهاب....هل يستطيع عقل منطقي سليم أن يأمل فى حكم الغوغاء حكما ناجحا بإستعمال المناقشات ". وفي البروتوكول الثالث: " نحن نحكم الطوائف بإستغلال مشاعر الحسد والبغضاء التي يؤججها الضيق ... ونستغل الغوغاء كيما نحطم كل شىء قد يثبت أنه عقبة فى طريقنا ".

(١) فلهوزن : الخوارج والشيعة ترجمة عبد الرحمن بدوى ص ١٧٠.

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية ص ١٠٧.

وفى المرحلة الثانية: كانت الحرب الأهلية فى الجمل وصفين والنهروان وصار بأس المسلمين بينهم شديد، وإنشغل المسلمون بصراعاتهم الداخلية عن نشر الإسلام فى العالم ونشأت الفرق الإسلامية علاوة على إفساد العقيدة ذاتها بأفكار غريبة على الفكر الإسلامى، وليس أدل على ذلك مما جاء فى البروتوكول الأول حيث يقول " سواء أنهكت الدول الهزاهز^(١) الداخلية أم أسلمتها الحروب الأهلية إلى عدو خارجى، فإنها فى كلتا الحالتين تعد قد خربت نهائيا كل الخراب وستقع فى قبضتنا".

وفى البروتوكول الثانى عشر نقرأ " تهيج العواطف الجياشة فى الناس، وأحيانا إثارة المجادلات...." وفى البروتوكول الرابع عشر " لن نبيع قيام أى دين غير ديننا.... يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان، وإذا تكون النتيجة المؤقتة لهذا هى إثمار ملحدين ". وفى البروتوكول السابع عشر: " وقد عنيينا عناية عظيمة بالخط من كرامة رجال الدين clergy من الأميين (غير اليهود) فى أعين الناس، وبذلك نجحنا فى الإضرار برسالتهم التى كان يمكن أن تكون عقبة كؤودا فى طريقنا، وأن نفوذ رجال الدين على الناس يتضاءل يوما فيوما. وفى البروتوكول الخامس: " لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره فى جميع أغراض الأميين الشخصية والقومية بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرنا".

(١) Convulsions أى الهزات أو الإرتجافات ، والهزاهز أدق. وفى المصباح المنير " الهزاهز: الفتن يهتز فيها الناس " (بروتوكولات حكماء صهيون ترجمة محمد خليفة التونسى).

ذلك هو تخطيط اليهود، وتلك أساليبهم في كل زمان ومكان. وحينما نقول السبئية لا نعنى عبد الله بن سبأ وحده، فـشخص واحد لا يمكن أن يقوم بهذا الدور الضخم، إنما هناك دعاة وأتباع. فريق متكامل يعمل لتحقيق أهداف مرسومة، ولا بد لهذا الفريق من قيادة منظمة خفية غير مُعلنة، وهذه القيادة وإن لم نعرف تفاصيل عنها إلا أنه من الثابت أن اليهود من خلفها.

وإن كان عبد الله بن سبأ هو الواجهة الظاهرة لهذه الحركة إلا أنه من الضروري وجود المنظمة أو الهيئة التي أوكلت إليه القيام بهذا الدور البعيد المدى في تاريخ الاسلام والمسلمين، فعبد الله بن سبأ ما هو إلا وكيل منظمة سرية يهودية. ولعل البروتوكول الرابع من بروتوكولات حكماء صهيون يوضح مآذينا إليه. ومما تجدر الإشارة إليه أن تلك البروتوكولات هي خلاصة فكر اليهود التي ضمنوها خططهم وأساليبهم، ونواياهم الحقيقية والتي ظهرت للعالم بمحض الصدفة وعلى غير رغبة من اليهود أنفسهم مما دعاهم إلى سحب الطبقات المختلفة لتلك البروتوكولات وأبعادها عن أيدي القراء. جاء في البروتوكول الرابع: ".....حكم الفوغاء الذي يؤدي إلى الفوضى، ويسبب الإستبداد. أن هذا الإستبداد من الناحية الرسمية غير شرعى، فهو لذلك غير مسئول. وإنه خفى محبوب عن الأنظار، ولكنه مع ذلك يترك نفسه محسوسا به. وهو على العموم تصرفه منظمة سرية تعمل خلف بعض الوكلاء. ولذلك سيكون أعظم جبروتا وجسارة". ويسترسل البروتوكول قائلا: "من ذا وماذا يستطيع أن يخلع قوة خفية عن عرشها؟ هذا هو بالضبط ما عليه حكومتنا الآن. إن المحفل الماسونى المنتشر فى كل أنحاء العالم ليعمل فى غفلة كقناع لأغراضنا، وخطة عملنا فى مراكز قيادتنا مازال على الدوام غير معروفة للعالم كثيرا".

وابن سبأ فى المرحلة الأولى حينما كان يجوب أنحاء العالم الإسلامى كان له أنصار أو أعوان معروفون كان ينزل عليهم، وكانت هناك مراسلات^(١) دائمة بينهم وبينهم فى مختلف الأمصار الإسلامية . وفى الكوفة قبيل موقعة الجمل تحدثت المصادر عن إجتماع هام عقده أعضاء التنظيم السبئى لمناقشة الموقف حينما تم الإتفاق على الصلح بين علىّ والمعارضة. وتم إتفاق المؤقرين على ضرورة إشعال الحرب بين الفريقين مهما كانت الظروف. وقد أعلن ابن سبأ^(٢) نفسه القرارات التى تمخضت عن ذلك المؤقر. كما ذكرت المصادر أسماء عدد من أعضاء التنظيم السبئى المعاونين لابن سبأ والذين حضروا المؤقر.

فالسبئية هنا حركة جماعية تنتسب إلى الزعيم أو الوكيل الظاهر. ولفظ السبئية يدل على الحركة الشاملة مثلما تقول الماركسية أو الوهابية أو الناصرية. فهى حركة تنتسب إلى شخص هام قام بأكبر دور فيها.

جاء فى البرتوكول الخامس عشر " وسوف نركز كل هذه الخلايا تحت قيادة واحدة معروفة لنا وحدنا، وستتألف هذه القيادة من علمائنا، وسيكون لهذه الخلايا أيضا ممثلوها الخصوصيون كى نحجب المكان الذى تقيم فيه قيادتنا الحقيقية. وسيكون لهذه القيادة وحدها الحق فى تعيين من يتكلم عنها وفى رسم النظام...."

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص ٣٣١، ص ٣٤٦.

(٢) المصدر السابق ص ٤٩٣. ابن الأثير : الكامل ج٣ ص ١٢٠. بن كثير: البداية والنهاية

المرحلة الأولى

السبئية في خلافة عثمان رضى الله عنه

أظهر ابن سبأ إسلامه في خلافة عثمان^(١) وسمى نفسه عبد الله إمعانا في الخداع وتؤكد النصوص التاريخية أن الذى أضرمت نار الفتنة وأشاع الفساد وسعى بين المدن والبلدان بالتحريض والأغراء على أمير المؤمنين وخليفة المسلمين عثمان ابن عفان ذى النورين رضى الله عنه، هو هذا المنافق وفرقتة^(٢) من اليهود والذين أعلنوا إسلامهم نفاقا وأوقدوا نار العصيان وأشعلوها كلما خمدت نيرانها، ويوضح الطبرى شيخ المؤرخين المسلمين كيف تنقل ابن سبأ وأعوانه بين البلدان من المدينة إلى البصرة إلى الكوفة إلى الشام إلى مصر^(٣)، وكيف نفث سمومه فى الفسباط وأوقعهم فى شرك الفتنة.

سعى ابن سبأ وأعوانه بين المسلمين بالافساد والفرقة فمزق وحدة المسلمين وشتت شملهم خلف ستار التشيع لعل رضى الله عنه وكان له أعوانه المنبثون فى البلدان الإسلامية يرأسهم ويكتبهم^(٤).

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٤٠.

(٢) المصدر السابق ص ٣٤١-٣٤٦.

الأشعري : مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٥٠.

(٣) الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٤٠. ابن الأثير: الكامل ج ٣ ص ٧٢-٧٣.

(٤) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٣١. ابن الأثير: الكامل ج ٣ ص ٧٧.

مخطط السبئية ضد الإسلام:

كانت خلافة عثمان رضى الله عنه عصر إنتصار ونفوذ وسيطرة للأسرة الأموية. ولما كان عثمان رضى الله عنه رجلا طيبا سمحا فقد إجتمع حوله أفراد الأسرة الأموية وعلي رأسهم الحكم بن أبى العاص طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) ومن ألد خصوم الإسلام حتي أن مروان بن الحكم صار أقرب معاونى الخليفة عثمان ومستشاريه^(٢) كما كان عثمان رضى الله عنه قد أعفى القائمين بأمور قيادة الجيش والمناصب الحكومية والولاية فى النواحي المختلفة من مناصبهم وقلد تلك المناصب لبنى أمية والمؤيدين لهم فافادوا من مناصبهم وكثرت ثرواتهم وعلي رأس هؤلاء معاوية بن أبى سفيان والى الشام وعقبه بن أبى معيط الذى أخبر عنه النبى أنه من أهل النار^(٣).

استغل عبد الله بن سبأ ودعاته تلك الأوضاع فى إثارة سخط الجماهير ضد الخليفة عثمان رضى الله عنه وأعلن أحقية على بن أبى طالب فى الخلافة حتى تجلى سخط العامة فى صورة الغلو فى إظهار الأمل وعقده على^(٤).

(١) البيعقوى : تاريخ البيعقوى ج ٢ ص ١٦٤، ١٦٨، ١٧٣.

المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ٣٤٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج ٣ ص ٧٧.

(٣) المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ٣٤٣.

(٤) بطروشوفسكى : الإسلام فى إيران ص ٨٥.

أخذ ابن سبأ يتنقل بين الأمصار والبلدان الإسلامية محرضاً علي أمير المؤمنين عثمان رضي الله عن هو وصحبه ساعياً بالفتنة والفساد والاغراء علي خليفة المسلمين ولقد أجمع المؤرخون علي أن عبد الله بن سبأ هو الذي أشعل نار الفتنة والعصيان^(١) ضد عثمان وولاته ليمزق وحدة المسلمين ويفرق جمعهم مستتراً بستر التشيع لعلّى وأبنائه ، حسب مخطط يهودي .

تنقل ابن سبأ في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم. بدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام ثم مصر .

إبن سبأ في البصرة :

ذهب عبد الله بن سبأ إلى البصرة في إمارة عبد الله بن عامر، ونزل علي حكيم بن جبلة العبدى بكل الآراء التي توغر الصدور علي عثمان رضي الله عنه. وكان حكيم بن جبلة هذا رجلاً لصاً إذا قفلت الجيوش خُتس عنهم أى إختفى وتخلف عنهم ثم يسعى في أرض فارس فساداً^(٢) فيغير علي أهل الذمة ويتنكر لهم ويعيث في الأرض ويأخذ ما يشاء ثم يرجع. فشكاه أهل الذمة وأهل القبيلة إلى عثمان. فكتب إلى والي البصرة عبد الله بن عامر يأمره بحبس حكيم ومن كان مثله بالبصرة فلا يخرجون منها حتى تأنسوا منه رشداً، فكان لا يستطيع أن يخرج.

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج ٥ ص ٩٠. علي إبراهيم حسن : التاريخ الإسلامى العام ص

٢٥٢. إحسان الهى ظهير : الشيعة والسنة ص ٣١ .

أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ج ١ ص ٤١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٧٢-٧٣ .

التجأ ابن سبأ إلى حكيم بن جبلة هذا، وقد إختاره ابن سبأ وأقام عنده لأنه كان موتورا من عثمان . وكانت سياسة ابن سبأ أن يلجأ دائما إلى كل موتور . وكان يجتمع إليه الناس فيلقى عليهم أحاديثه التي يطعن فيها على عثمان وولاته وكيف أغتصب عثمان الخلافة من عليّ متناولا فكرة الوصاية، كما كان يحدثهم عن تعاليم خبيثة حول الرجعة والقوم حديثوا عهد بالإسلام ليس لهم علوم أو دراسة، فكانوا يقبلون منه ويتأثرون به ^(١) ويمكن القول أن دعوة ابن سبأ وجدت مرعى خصبا في البصرة.

ولما وصلت أبناء تلك الإجتماعات إلى ابن عامر وإلى البصرة أحضره وسأله عن نفسه وخبره، فأجابه ابن سبأ بأنه رجل من أهل الكتاب رغب في الإسلام وفي الحياة بالبصرة ، وشعر ابن عامر بخطورة هذا الإنسان ، وارتاب في أمره لحذر بعيد . لذلك طرده من البصرة ^(٢) ليأمن شره . والواقع أنه إذا كان ابن سبأ طرد من البصرة فانما طرد منها بعد أن حقق غرضه فيها بنشر أفكاره وتكوين خلايا سبئية، وجمع رجال وأنصار سوف يقومون بدور كبير في مستقبل الأحداث بعد ذلك.

ابن سبأ في الكوفة:

بعد طرد ابن سبأ من البصرة توجه إلى الكوفة ^(٣) ليقوم بها بنفس الدور الخبيث من أجل تحقيق ذات الهدف، وبث نفس الأقاويل والطعن على عثمان رضي

(١) المصدر السابق.

(٢) الطبري : الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٢٦ وما بعدها.

ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٧٢-٧٣.

(٣) المصدرين السابقين.

الله عنه وكل ما يوغر الصدور ويؤلب الناس على عثمان. فروج إداره القطائع والأرزاق والأعطيات على أقوام بالمدينة ليس لهم صحبة من النبي صلى الله عليه وسلم ثم لا يغزون ولا يذبون ، وما كان من الوليد الوالى السابق بالكوفة وقضية شربه الخمر وتعطيلة إقامة الحد عليه^(١)، ثم قضية خمس إفريقية ، وأنه أول من ضرب ظهور الناس بالسياط^(٢) وغير ذلك من قضايا ، ولما تبين خطره طرده والى الكوفة أيضا. ومن الواضح أن ابن سبأ كان قد كون أنصارا وأعوانا ممن صدقه وإقتنع برأيه ، وإستمر ابن سبأ يكاتبهم ويراسلهم^(٣) سواء فى البصرة أو فى الكوفة بعد طرده منهما مما يؤكد إستمرار التخطيط والتآمر.

ابن سبأ فى الشام:

ذكر الطبرى أن عبد الله بن سبأ لقي أبازر الغفارى فى الشام وحرضه على معاويه بقوله: المال مال الله . ثم أتى أن سبأ إل أبى الدرداء ، فلما سمع هذا حديثه قال متسائلا: أظنك والله يهوديا^(٤) ومعروف أن أبا ذر كان زاهدا تقيا متقشفا، ذا شفقة على الفقراء والمساكين لا يميل إلى إكتناز الأموال أو إدخارها دون من يحتاج إليها. فدخل ابن سبأ من هذا الباب. وقد كان عل جانب كبير من الذكاء والدهاء، عرف المنفذ والمدخل الذي دخل منه إلى كل شخص أو إلى كل جماعة، كان يتعرف مواطن الضعف فى كل مجتمع وكل فرد فيدخل منها بدسائسه.

(١) ابن قتيبة : الأمانة والسياسة ج ١ ص ٣٥. (ذكر الطبرى أن عثمان أمر سعيد بن العاص فجلبه. ج٤ ص ٢٧٦).

(٢) المصدر السابق.

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ٧٢.

(٤) الطبرى : الإمم والملوك ج ٤ ص ٢٨٣.

ونجح ابن سبأ فى إثارة أبى ذر الغفارى فى الشام على معاوية من هذا المنطلق. إذا قال له : يا أباذر ألا تعجب من معاوية إذ يقول المال مال الله ، كأنه يريد أن يحتجته دون المسلمين ويحواسمهم، ^(١) فذهب أبوذر إلى معاوية يحدثه فى الأمر بعنف وأغلظ له فى القول. مما ذكرته المصادر ^(٢). وتضخمت الفكرة فى ذهن أبى ذر حتى صار أول من قال بالإشترابية فى الإسلام. فكان بينه وبين معاوية من الخلافات حول هذه النقطة ما هو معروف . كما أنه أثار الفقراء على الأغنياء ، فأثار بذلك بعض المشاكل لمعاوية . حتى اضطر إلى مراسلة الخليفة عثمان مستنجداً به من أبى ذر حتى يستقدمه عثمان إلى المدينة ثم يستقر به الأمر بعد ذلك فى الريزة ^(٣).

والواقع أن ما كان عليه معاوية من اليقظة والحزم والضبط للأمور وقوة قبضته على ولايته، كل ذلك أفسد على ابن سبأ تحركاته فى الشام فلم ينجح فى تكوين خلايا سيثية أو أنصار لدعوته هناك، بل إنكشف أمره سريعاً على يد أبى الدرداء ^(٤) الذى عرف من حديثه أنه يهودى، ثم عبادة بن الصامت ^(٥) الذى تعلق به وأتى به معاوية فقال له: هذا والله الذى بعث عليك أباذر.

(١) الطبرى : الإهم والملوك ج ٤ ص ٢٨٣.

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ٥٧.

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ٥٧.

(٤) الطبرى : الإهم والملوك ج ٤ ص ٢٨٣.

(٥) المصدر السابق . (وأكد ابن الأثير تلك الرواية).

ابن سبأ فى مصر:

ذهب ابن سبأ إلى مصر ينشر دعوته وينفث سمومه واستغل سخط المصريين على عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وإلى عثمان عليهم وأخذ يثير الناس على عثمان.

ذكر لهم أنه وجد فى التوراه أن لكل نبي وصياً وإن علياً رضى الله عنه وصى محمد^(١) صلى الله عليه وسلم وأنه خير الأوصياء كما أن محمد خير الأنبياء . وأن عثمان أخذ حق على وظلمه . وهو بذلك أول من أظهر القول بالنص بإمامة على^(٢).

رأى عبد الله بن سبأ أن على بن أبى طالب رأس الصحابة الذين بقوا من حيث التقدير والإحترام وهو الرجل الثانى فى الدولة بعد الخليفة. وكانت له عند الخلفاء مكانة لا تدانيها مكانة، يستشار ويؤخذ برأيه فى المواقف مع سبقه فى الإسلام وعلمه وفقهه الكبير وقربته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. لذلك أثر هذا اليهودى إختيار على ليدعوه لا حياً فيه ولا إقتناعاً بمكانته وإنما ليزر الفتنة فى المجتمع الإسلامى وحتى لا يعرف مخططه وينكشف فأعلن أن علياً وصى محمد.

ويبدو أن ابن سبأ كان قد أعد لهذا الدور فقد قرأ فى الأديان وفلسفتها وكان يكثر الحديث فى ذلك أينما حل. يتصل بالناس ويتحدث إليهم ويبدى تفهمه للإسلام وعقيدته ويعقد مجالس للحديث فى هذا الشأن ومن أهم ما أفسد به العقول مازعمه من مدى تعجبه ممن يزعمون أن عيسى يرجع ويكذبون برجعة محمد.

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٤٠.

البيدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٣٥.

(٢) الشهرستانى : الملل والنحل ج ١ ص ١٧٤.

أخذ بعد ذلك يطعن فى الخليفة وولاته وعماله وأنهم دون الصحابة الأجلاء وأن هؤلاء الولاء لم يتولوا تلك المناصب إلا لقربتهم من الخليفة الذي بلغ من الكبر عتيا وأصبح خاضعا لهم. فهم الذين يحركوه كيفما شاءوا وأن الدولة والخليفة صارا أداه طيعة في أيديهم . وفي كل ذلك يتخذ ثوب الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

وفى مصر وجد عبد الله بن سبأ الظروف مواتيه لنشر تعاليمه ودعايته لاعلان الثورة ضد الخليفة وذلك أن والى مصر آنذاك عبد الله بن سعد بن أبى سرح كان مشغولا بالحروب الخارجية، فقد غزا إفريقية سنة ٢٧هـ^(١) وغزا النوبة وعقد مع أهلها هدنة سنة ٣١هـ، كما حارب الروم فى وقعة ذات الصوارى سنة ٣٤هـ، وبذلك خلا الجو لابن سبأ وأعوانه كى يديروا مؤمراتهم فى مصر بعيدا عن أعين الرقباء.

ويبدو أن ابن سبأ كان شخصية قيادية قوية جذابة ماهرة استطاع التأثير على العامة. واستغل السبثيون بذكاء كل ماحولهم من ظروف، فقد أثاروا النزاع بين القبائل على السيادة والسلطة، وأنفة بعض القبائل العربية من سيادة قريش، وأثاروا الأمصار على المدينة. وأيقظوا وأثاروا الروح القبلية والنزعة الاقليمية. كما استثمروا تذمر البعض من الناقمين على عثمان لمواقف شخصية مثل عمرو بن العاص^(٢) فى المدينة ومحمد بن أبى حذيفة ومحمد بن أبى بكر فى مصر^(٣) وغيرهم.

(١) تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ١٦٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ٨٢. الأشعرى : مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٥٢.

(٣) تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ١٧٤-١٧٥.

حتى المدينة لم تخرج عن دائرة تحركات السبئية ، فأرسلوا إليها الكتب^(١) يشكون فيها من الولاة والعمال، وكانت تلك الكتب سببا لكثرة الحديث فى شأن عمال عثمان وشيوع الأقاويل فيهم حتى تأثرت بذلك نفوس البعض من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مما سيكون له تأثيره على الأحداث بعد ذلك ، ومما ساعد على اشتعال الفتنة .

كما كانت هناك كتب ترسل إلى الأمصار دسستها السبئية باسم أهل المدينة^(٢) يستقدمون فيها أهل الأمصار مستنجدين بهم لاصلاح ما أفسد عثمان من أمور الخلافة. وقد انكشف ذلك خلال حصار عثمان حينما كان بعض الصحابة متعاطفا معه، فقام الأشر الذي كان ضمن الثوار وقال متعجبا : " جاءنا رسولكم بكتابكم وهاهو ذا ، فأخرج كتابا فيه :

" بسم الله الرحمن الرحيم ... من المهاجرين الأولين وبقية الشورى إلى من بمصر من الصحابة والتابعين ، أما بعد .. أن تعالوا إلينا وتداركو خلافة رسول الله قبل أن يسلبها أهلها ، فإن كتاب الله بدل . وسنة رسوله قد غيرت . وأحكام الخليفين قد بدلت ، فتنشد الله مَنْ قرأ كتابنا من بقية أصحاب رسول الله والتابعين بإحسان ، إلا أقبل إلينا ، وأخذ الحق لنا ، وأعطاناه ، فأقبلوا إلينا إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وأقيموا الحق على المنهاج الواضح الذى فارقتم عليه نبيكم ، وفارقكم عليه الخلفاء ، غلبنا على حقنا ، واستولى على فيثنا ، وحيل بيننا وبين أمرنا ، وكانت الخلافة بعد نبينا خلافة نبوة ورحمة ، وهى اليوم ملك عضود ، من غلب على شىء أكله"^(٣) .

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٤١ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٥٥ .

(٣) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ج ١ ص ٣٧ .

لقد زاد سخط عامة الناس على عثمان في الفترة الممتدة من سنة ٣٢ هـ إلى سنة ٣٥ هـ ، وإستاء من تصرفاته بعض كبار الشخصيات^(١) . وكثير منهم وإن كانوا من المؤيدين لبنى أمية إلا أنهم كانوا قد أبعادوا عن المناصب الكبرى في الدولة.

تلك كانت فترة التحضير للثورة، وتهينة الأذهان لها فكريا ، وتكوين رأى عام ضد الخليفة لخلع طاعته وبيعته، تأثر الكثرون بآبن سبأ وخرجوا على الخليفة عثمان^(٢) . ثم تواعدوا على التوجه إلى المدينة في شوال عام ٣٥ هـ^(٣) وذلك لتنفيذ ما اعتزموا عليه من أمر عثمان، وخشوا أن يُعلموا الناس بنيتهم للشغب والثورة والحرب ، وتظاهروا بغير ذلك فخرجوا كالخجاج.

خرج أهل مصر على أربع فرق عليها أربعة أمراء وعددهم فيما بين الستمئة والألف^(٤) ، وأهم قياداتهم هم عبد الرحمن بن عديس البلوى ، وكنانة بن بشر التجبي، وعروة بن شبيب الليثي ، وأبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، وسواد بن رومان الأصبحي ، وزرع بن يشكر اليافعي ، وسودان بن خمران السكوني، وعلى القوم جميعا الغافقي بن حرب العكيّ وخرج معهم عبد الله بن سبأ.

(١) ابن أعثم الكوفي : الفتوح المجلد الأول ص ٤٠٨.

(٢) الطبري : الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٣٨ . ابن أعثم الكوفي : الفتوح المجلد الأول ص ٤٠٠

وما بعدها . إحسان الهى ظهير: الشيعة والسنة ص ٢٤.

(٣) الطبري : الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٤٦.

(٤) المصدر السابق ج ٤ ص ٣٤٨ . ذكر ابن العربي أعدادا أقل من ذلك (العواصم من

القواصم ص ١١٢).

وخرج أهل الكوفة فى أربع فرق أيضا ، وأهم رجالاتهم زيد بن صوحان العبدى ، والأشتر النخعى ، وزباد بن النضر الحارثى ، وعبد الله بن الأصم ، وعددهم كعدد أهل مصر وعليهم جميعا عمرو بن الأصم^(١) . وخرج وفد البصرة فى أربع فرق أيضا وأهم رجالاتهم حكيم بن جبلة العبدى ، وذريح بن عباد العبدى ، ويشر بن شريح الحطم بن ضبيعة القيسى ، وابن المحرش بن عبد بن عمرو الحنفى ، وعددهم كعدد أهل مصر وأميرهم جميعا حرقوص بن زهير السعدى^(٢) .

هكذا بث السبثيون دعاواهم الموجهة ضد عثمان لاعلان الثورة عليه وكانت ذات شقين أو منطلقين:

المنطلق الأول:

أنه أتى فى ولايته بمظالم لم يأت بها الخلفاء من قبل مثل :-

- ١- ضربة لعمار بن ياسر حتى فتق أمعاءه .
- ٢- ضربة عبد الله بن مسعود حتى كسر أضلعه ومنعه عطاءه^(٣) .
- ٣- ابتدع فى جمع القرآن وتأليفه وفى حرق المصاحف أى الصحائف المخطوطة المتباينة فاتهمت السبثية عثمان بأنه فعل شيئا أثر فى نص القرآن^(٤) .
- ٤- حمى الحمى^(٥) .
- ٥- أجلى أبا ذر الي الريدة^(٦) .

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٤٩ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) اليعقوبى : ج ٢ ص ١٧ .

(٤) المصدر السابق . ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ٥٥ .

(٥) تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ١٧٤ . ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ج ١ ص ٣٥ .

(٦) تاريخ اليعقوبى ص ١٧٤ .

- ٦- رد الحكم بن أبى العاص بعد أن نفاه رسول الله صلعم^(١).
- ٧- أبطل سنة القصر فى الصلاة فى السفر.
- ٨- ولى معاوية ، وعبد الله بن عامر بن كريز^(٢) . ومروان بن الحكم^(٣) وولى الوليد بن عقبة^(٤) وهو فاسق ليس من أهل الولاية.
- ٩- أعطى مروان خمس أفريقيه.
- ١٠- ضرب بالعصا بعد أن كان عمر يضرب بالدره.
- ١١- إرتفع درجة على درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد إنخفض عنها أبو بكر وعمر.
- ١٢- لم يحضر بدرا ، وانهزم يوم أحد ، وغاب عن بيعة الرضوان^(٥).
- ١٣- لم يقتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان^(٦).
- اتهمت السبئية عثمان بتعطيل الحدود أو أبطال الحدود^(٧) . خاصة أنه لم

(١) المصدر السابق ص ١٦٤.

(٢) المصدر السابق ص ١٦٦.

(٣) اليعقوبى ص ١٧٣.

(٤) المصدر السابق ١٦٥.

(٥) ابن أعثم الكوفى : الفتوح المجلد الأول ص ٤٠٣ ، ٤٠٤.

(٦) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ١٦٣.

(٧) الحدود كما هو معروف فى الشريعة الإسلامية ليس للقاضى فيها حق التعزير لأنها حق من حقوق الله تطبق على جرائم معينة ومحددة، فهى منصوص عليها فى القرآن وإن كانت بعض العقوبات ومنها - عقوبة الزنا وشرب الخمر- لا يوجد لها نص فى القرآن . وأشيع أن عثمان لم يوفق فى حالتين من تطبيق الحدود وهما الأخذ بالشأ من عبيد الله بن عمر لقتله الهرمزان واكتفى عثمان بدفع الدية من ماله الخاص. والحالة الثانية هى قضية الوليد ابن عقبة أمير الكوفة وشربه الخمر فاتهم بأنه أبطل الحدود . الإمامه والسياسة ج ١ ص ٣٥ . وقد ذكر الطبرى أن عثمان أمر سعيد بن العاص فجلبه . ج ٢ ص ٢٧٦.

يجلد أخيه الوليد ابن عقبة^(١) وإلى الكوفة وإكتفى بعزله مع أن الحدود متضمنة في كتاب الله وأن اقامتها مرتبطة باقامة كتاب الله . ولقد فند القاضى أبو بكر بن العربى تلك الاتهامات^(٢). نقطة نقطة وأثبت براءة سيدنا عثمان رضى الله عنه مما يدعو إلى الثورة عليه. وفى ذلك يقول: " هذا كله باطل سنداً ومثناً"^(٣).

المنطلق الثانى :

سعى ابن سبأ بالفتنة بين بلدان المسلمين فقال لهم فيما يقول: " العجب من يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع"^(٤)، وقد قال عز وجل: " إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد"^(٥) فوضع لهم بذلك " الرجعة فانتشرت بين المسلمين وتكلموا فيها واعتنقها الرافضة".

ثم قال لهم ان لكل نبي وصى وكان على وصى محمد، فهذا آخر الأنبياء، وذاك آخر الأوصياء . وقال فمن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله (صلعم) ووثب

(١) ابن قتيبة : الأمانة والسياسة ج ١ ص ٣٥ ، وقد ذكر اليعقوبى أن الناس أحجموا عن ضربه لقربته من عثمان فقام على فضربه، دون تحديد لكم أو لكيف ضربه: تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ١٦٥.

(٢) ابن العربى : العواصم من القواصم ص ٧٦.

(٣) المصدر السابق ص ٦٣.

(٤) الطبري : الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٤٠. الأشعرى : مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٥٠.

(٥) سورة القصص آيه ٨٥.

على وصي رسول الله . وتناول أمر الأمة وأظهر لهم أن عثمان أخذها بغير حق وناشد المسلمين أن يحركوا هذا الأمر ويغيروه قائلا: " فانهضوا ^(١) في هذا الأمر وحركوه وابدئوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر " وبث دعائه وكاتبوا رجالهم وأعوانهم في الأمصار المختلفة . ودعوا في السر الى ماعليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون ^(٢) . ويسرون غير ما يعلنون ^(٣) .

اجتمعت تلك الوفود الثائرة بالمدينة جميعهم متفقون في الثورة على عثمان، مظهرون الخلاف له. وإشتد ساعد الفتنة في المدينة. وملئوها كلاما في حق عثمان وولاته ^(٤) ورغم أن عثمان أعلن تويته ^(٥) فوق المنبر ورفض إقتراحات معاوية واستجاب ^(٦) لكثير من مطالبهم واستعمل على مصر محمد بن أبي بكر حسب رغبتهم ^(٧) وكتب له عهده، وخرج محمد ومن معه يريدون مصر وأنصرف الجميع راجعين .

(١) الطبري : الأمم والملوك ج٤ ص ٣٤١ .

(٢) المصدر السابق : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج٣ ص ٧٧ .

(٣) الطبري ج٤ ص ٣٤١ . الأشعري مقالات الإسلاميين ج١ ص ٥٠ وما بعدها

(٤) ابن أعثم الكوفي : كتاب الفتوح المجلد الأول ص ٤٠٠ وما بعدها .

(٥) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ج١ ص ٣٤ .

(٦) الطبري : الأمم والملوك حوادث ٣٥ هـ . المسعودي : مروج الذهب ج٢ ص ٣٥٣ .

(٧) ابن أعثم الكوفي : كتاب الفتوح المجلد الأول ص ٤١٠-٤١٤ .

وفجأة يعم التكبير نواحي المدينة وقد أحيط بدار عثمان، وجاء الناس وفيهم على بن أبي طالب، وسأل المصريين ما الذي أرجعكم بعد ذهابكم؟ فأخبروه بقصة الكتاب الذي كان مع البريد والذي يحمله خادم عثمان^(١) ولما سأل أهل البصرة عن سبب رجوعهم قالوا لنصرة إخواننا. وكذلك أجاب وفد الكوفة، وتعجب محمد بن مسلمة وعلى بن أبي طالب متسائلا: كيف علمتم بما لقي أهل مصر وكذلك من صاحبه على مراحل حتى رجعت إلينا جميعا؟ هذا أمر ابرم بليل. فقالوا إجعلوه حيث شئتم. لا حاجة لنا بهذا الرجل ليعتزل لنا^(٢).

ورغم مرور القرون لم نجد بين ثنايا المصادر التاريخية اجابة لهذا التساؤل وهو كيفية رجوع هذه الوفود معا بعد افتراقها وبعد أن اتخذت كل منها طريقا مختلفا عن الأخرى مسيرة ثلاث ليال.

كان الثوار ياملون أن يطول حصارهم لضمان أن يبقى عثمان مستعدا للتنازل عن الخلافة إذا ما اشتد به وبأسرته الجوع. وبعد حصار دام عشرة أسابيع لمنزل الخليفة انتشر في المدينة في الثامن عشر من ذي الحجة عام ٣٥ هـ أن قوات مسلحة أرسلت من قبل ولاية البصرة ودمشق ومصر وإنها قدمت لنصرة عثمان ومساعدته^(٣) وإن تلك القوات على وشك الوصول فلم يعد التأخير والتسوأي جائزا

(١) الطبري: الأمم والملوك جزء ٤ ص ٣٥١.

المسعودي: مروج الذهب جزء ٢ ص ٣٥٣.

(٢) الطبري: الأمم والملوك جزء ٤ ص ٣٥١.

(٣) الطبري: الأمم والملوك ص ٣٩٥ هـ. بطروشوفسكي: الإسلام في إيران ص ٨٩.

لذلك أسرع الثوار وهاجموا منزل الخليفة من أسقف المنازل المجاورة وفرقوا حراسة وقتلوه فى نهاية الأمر.

ترى من الذي أشاع ذلك الخبر فى المدينة فى ذلك اليوم؟ ولماذا؟ من الواضح أن من أشاع ذلك إنما كان يؤجج نار الفتنة لتنبعث مستمرة لا تبقى ولا تذر. أن من أشاع ذلك الخبر إنما كان يسعى جاهدا أن يضيع الإسلام بين المسلمين حين يصير بأسهم بينهم شديد فينشغلوا بصراعاتهم عن بث تلك الدعوة بين الأمم. ومن ثم يتوقف المد الإسلامى الممتد عبر العالم. وتنحسر موجة الفتح الإسلامى لتجد عقائدهم وأديانهم متسعا ومتنفسا. كان كيدا وتآمرا ومخططا ناجحا ضد الإسلام^(١).

لقد دافع عثمان رضى الله عنه كثيرا عن نفسه، وكتب للناس كتابا قرأه عليهم ابن عباس يوم الترويه^(٢). وأكثر من الرضوخ الى مطالبهم^(٣) وأعلن توبته على المنبر^(٤). وكلما سد بابا فتحوا غيره. ولم ينتهوا حتى قتلوا الخليفة رضى الله عنه. وثلموا فى الإسلام ثلثة لا تسد إلى يوم القيامة. أشعلوا نار الفتنة وتحقق غرضهم فى بث الفرقة بين المسلمين فتوقفت بذلك حركة الفتح

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص ٣٤٢-٣٤٣.

الأشعرى : مقالات الإسلاميين ج١ ص ١١.

(٢) ابن أعثم الكوفى : الفتوح المجلد الأول ص ٤١٣-٤١٤.

(٣) ابن أعثم الكوفى : الفتوح مجلد ١ ص ٤٠٦، ٤١٨.

(٤) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ج١ ص ٣٤.

الإسلامي^(١) ولقد ثبت تاريخيا ان ابن سبأ تنقل في جميع أنحاء العالم الإسلامي هو ورفاقه ناشرين تلك الآراء التي اتخذت شقين: شق تناول عثمان وولاته بالعيب والنقض وشق تناول أحقية على في الخلافة التي اغتصبت منه منذ وفاة النبي ، مع بعض الأفكار الخاصة بالتشيع^(٢).

باختصار هذا المخطط اليهودي كان يهدف الى بث الفرقة بين المسلمين وإشاعة الفتنة وتفريق كلمتهم وإضعاف شوكتهم بنشر التشيع^(٣) وتطور التشيع على أيديهم وخرج عن الفكر الإسلامي الصحيح وعن العقيدة الإسلامية وتحالفت المؤامرات اليهودية مع كيد المجوسيه ضد الإسلام والمسلمين. فكان الصراع الشيعي السني على مر العصور^(٤).

(١) الطبري : الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٤٠.

(٢) المصدر السابق ص ٣٤٠ وما بعدها.

(٣) بطروشوفسكي : الإسلام في إيران ص ٨٥.

(٤) فلهريزن : الخوارج والشيعة ص ١٧٦.

ب - المرحلة الثانية السبئية فى خلافة على

لم ينته دور السبئية بمقتل عثمان وتولية على رضى الله عنهما ولم تنته مؤامراتهم، بل انتهت فقط المرحلة الأولى منها. سيستمر ابن سبأ وأعوانه فى تنفيذ بقية المخطط السبىء اليهودى. فبعد تولية على الخلافة دخلت السبئية مرحلة جديدة من تأمرها .

بقيت المدينة بعد مقتل عثمان رضى الله عنه خمسة أيام وأميرها الغافقى بن حرب^(١) يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بأمر الخلافة فلا يجدونه وكانت الكلمة العليا فى المدينة آنذاك للثوار . والأمر النافذ لهم. وعلى رأسهم المصريون وفيهم ابن سبأ وأعوانه وكان الثوار قبائل متباينة من الأمصار وانضم إليهم عبيد أهل المدينة وكذلك كثير من أهل المياه أى أعراب شبه الجزيرة وهؤلاء الثوار وإن اتفقوا على خلع عثمان، فهم لم يتفقوا على شخص الخليفة الجديد. فقد كان هوى المصريين مع طلحة، والكوفيين مع الزبير ، ولم يكن فى نظر جمهور السبئية أليق للخلافة من على فأخذ المصريون يلحون عليه يعرضون الخلافة وهو يهرب منهم^(٢) وبذلك وقف السبئية فى صفوف على مما سيكون له أكبر الأثر فى مجريات الحوادث بعد ذلك ؟

فانضمام هؤلاء الثوار إلى صفوف على أثار المعارضة ضده ، وشكك فى موقفه "وكان سبباً فى انقسام كلمة المسلمين .

(٢) الدينورى : الأخيار الطوال ص ١٤٠. ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٢ ص ٩٣ . ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ٩٨-١٠١ .

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٢٧ .

ذهب الناس إلى عليّ يعرضون عليه الخلافة فرفضها فألحوا عليه^(١) وباعده الناس وقت له البيعة أواخر الحجة سنة ٣٥ هـ^(٢) من أهل المدينة كما بويح الخلفاء من قبله . وإن كان هناك أفراداً قلائل لم يبايعوا^(٣) .

وإذا كانت رغبة السبئية ومن سار في ركبهم هي تولية عليّ الخلافة، فقد تولاهوا وتحقق هدفهم. وكان من المفروض ومن المتوقع - إن كانت نواياهم حسنة - أن يركنوا إلى الهدوء وتضميد الجراح ولم الشمل لمعاونة عليّ ومؤازرته، لكن ما حدث جاء عكس ذلك تماماً .

صعد عليّ المنبر وألقى أول خطبه له بعد البيعة بالخلافة تحدث فيها عن كتاب الله الذي أنزله هدياً للإنسان. وتحدث عن الخير والشر وأوصى الناس بعمل الخير. كما تناول ما حرمه الله فذكر أن حرمة المسلم أفضل الحرم كلها. وأنه لا يحل أذى المسلم. وأوصى بتقوى الله وطاعته وذكر بمسؤولية الإنسان أمام الله. وهو بذلك يريد أن يقول لهم ارجعوا إلي العهد الذي كنتم عليه أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٤) وأقبلوا على الآخرة وأعرضوا عن الدنيا ولولوها ظهوركم. ولما انتهى عليّ من خطابه وأراد العودة إلى منزله قالت السبئية^(٥):

(١) الطبري : الأمم والملوك ج٤ ص ٤٢٧ وما بعدها ، ص ٤٣٤ . ابن طباطبغا : الفخرى ص ٨٤ - ٨٥ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ١٧٨ وما بعدها . أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر المجلد ١ ص ١٧١ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص ٢٢٧ .

(٤) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ج١ ص ٥٠ .

(٥) الطبري : الأمم والملوك ج٤ ص ٤٣٧ .

خذها إليك واحذراً أبا حسن
صوكة أقوم كأسداد السفن
ونطعن الملك بلمن كالشطن
وذكر ابن كثير أن علياً رد عليهم بقوله :
إنى عجزت عجزاً لا أعتذر
أرفع من ذيلى ما كنت أجر
إن لم يشاغبنى العجول المنتصر
إنما نمر الأمر إمرار الرسن
بشرفيات كفردان اللين
حتى يمرن على غير عن^(١)
سوف أكيس بعدها وأستمر
وأجمع الأمر الشثيت المنتشر
أو يتركونى والسلاح يتدر

كان لمقتل عثمان رضى الله عنه دوى هائل فى أنحاء الدولة الإسلامية، ورفض عارم لما حدث، وذهول من كيفية حدوثه. وكانت أول وأهم قضية تواجه الخليفة الجديد هى إقامة الحد على مقتالى عثمان والثأر له .

ولما كانت المدينة فى أيدي الثوار ومن تبعهم من الأعراب والعبيد وليس باستطاعة على إحكام قبضته عليها . ولا بوسعها السيطرة عليها . فالفرغاء والأعراب والثوار قتل عثمان يملأونها وليست لديه قوات يواجههم بها . كما كان لديه إحساس بأن هناك من خلفهم، عقلاً مدبراً، وتنظيماً دقيقاً وأن لهم مدداً وأعواناً^(٢) . لذلك رأى مواجهة الموقف بالحكمة والتؤدة حتى يستبين الأمر وينكشف .

وكان على يرفض كل ما حدث ولا يقر منه شيئاً وكان يكره الثوار، ويود لو تمكن منهم ليأخذ حق الله منهم ويقيم الحد عليهم، لكنه تريض بهم الدوائر^(٣) ريثما يسيطر على الموقف، ويصير زمام الأمور بيديه . لذلك آثر مواجهة هؤلاء باللين، لبالقوة فاتخذ معهم سياسة المسالمة.

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج٢ ص ٤٣٦ . ابن الأثير : الكامل ج٣ ص ١٠٠ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص ٢٢٨ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٣٠ .

اجتمع إلى علىّ بعض الصحابة إثر بيعته بالخلافة وتحدثوا إليه في أمر الثوار واشتراكهم في قتل عثمان، وكيف أحلوا قتل الخليفة بجرأة كما تناول المجتمعون أمر إقامة الحدود على القتلة، ورد عليهم علىّ موضحاً مدى سيطرة هؤلاء الثوار على المدينة بعد أن أثاروا الناس خاصة العبيد والأعراب، واعتذر إليهم بأن هؤلاء لهم مدد وأعوان وأنه لا يمكنه ذلك في هذا الوقت، فطلب منه الزبير أن يوليه إمرة الكوفة ليأتيه بالجنود، وطلب منه طلحة أن يوليه إمرة البصرة ليأتيه منها بالجنود^(١) ليتقوى بها على هؤلاء الغوغاء من السبئية وأعوانهم. فقال لهما مهلاً حتى أنظر في هذا الأمر^(٢) حين يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق^(٣).

تدارس المجتمعون الموقف وأقروا بأنه لا طاقة لهم بإقامة الحدود في تلك الآونة خشية اشتعال الفتنة، وفرقة الناس حول هذا الأمر. ووجود هؤلاء الثوار بالمدينة . ووعدهم على بأنه سيلتزم برأيهم الذي يجمعون عليه إن شاء الله^(٤).

حاول علىّ معالجة الموقف وتهذئة الأحوال بقض هذه الجموع التي تجمعت بالمدينة توطئة لعودة الأمور إلى حالتها الطبيعية. ومن فوق المنبر توعّد علىّ العبيد المنضمين إلى الثوار، وطالبهم بالتراجع عن ذلك الموقف وأعلن براءة الذمة من أى عبد لا يرجع إلى مواليه^(٥). وهنا ثارت السبئية والأعراب وتذمروا رافضين انصراف العبيد. تأمرت السبئية والأعراب خشية أن يتخذ الخليفة منهم موقفاً مشابهاً فيما^(٦) بعد.

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص ٤٣٨ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص ٢٢٩ .

(٣) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص ٤٣٧ .

(٤) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص ٤٣٦ .

(٥) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص ٤٣٨ . ابن الأثير : الكامل ج٣ ص ١٠٠ .

(٦) المصدر السابق . ص ٤٣٨ . ابن الأثير : الكامل ج٣ ص ١٠٠ - ١٠١ .

وهذا مما يوضح موقف السبئية المناوئ لخلافة عليّ والدولة الإسلامية . وتلك نقطة جوهرية توضح نوايا السبئية تجاه الإسلام ودولته .

ذكر الطبرى أن علياً فى اليوم الثالث من خلافته خرج على الناس وطالبهم بإخراج الأعراب من بينهم ليلحقوا بأرضهم ويغادروا المدينة. كما ناشد الخليفة الأعراب ضرورة تنفيذ أمره بعودتهم إلى بلدانهم واللاحق بأرضهم ومياهم ومغادرة المدينة. ومرة أخرى تقف السبئية موقفاً مشبوهاً حين ترفض أمر الخليفة وتعارضه فى ذلك، وتأبى خروج الأعراب من المدينة^(١) وتحضهم على البقاء فيها وتغريهم عليه ويستجيب الأعراب لرغبة السبئية ويطيعونهم ولا يغادرون المدينة.

أبت السبئية وأطاعهم الأعراب رافضين تنفيذ أوامر الخليفة الرامية إلى تهدئة الموقف والعودة بالأوضاع إلى حالتها الطبيعية. وتلك نقطة خطيرة أيضاً توضح نوايا السبئية تجاه الإسلام ودولته . وهنا نتوقف لنناقش الموقف .

إن الغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدثوا فيه تلك الأحداث وآووا فيه المحدثين مع مانالوا من قتل إمام المسلمين بلا عذر فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام فلماذا يتمسك السبئية ببقاء الأعراب والغوغاء بالمدينة؟؟ لماذا يصرون ويحرصون على بقاء تلك الجموع الثائرة وتلك الأوضاع القلقة بالمدينة؟؟ لابد أن لهم مآرب تتحقق فى ظل الغوغاء والأعراب لن يتمكنوا من تحقيقها فى ظل الهدوء والاستقرار. لذلك عارضوا أوامر الخليفة ورغبته فى تصفية التجمعات الثائرة، ورجوع الأعراب إلى مياهم وأرضهم .

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص ٤٣٨ . ابن الأثير : الكامل ج٣ ص ١٠١ .

أدرك بعض أهل المدينة الدور الخبيث الذى لعبته السبئية فى خلافة عثمان حتى انتهت بالفتنة الكبرى ومقتله، والدور الخبيث الذى تلعبه الآن . فقد ذكر الطبرى^(١) أنه بعد مقتل عثمان اجتمع بنو أمية فى مكة ومعهم يعلى بن منية^(٢) وطلحة والزبير، وبعد دراسة الموقف اجتمعت كلمتهم على الطلب بدم عثمان وقتال السبئية حتى يثأروا وينتقموا لما حدث بالمدينة.

فقد قدم طلحة والزبير من المدينة إلى مكة، فلقيا عائشة، فقالت : ما وراءكما؟ فقالا : إننا تحملنا هُراباً من المدينة، من غوغاء وأعراب، وفارقنا قوماً حيارى، لا يعرفون حقاً، ولا ينكرون باطلاً، ولا يمنعون أنفسهم . فقالت : إنهضوا إلى هذه الغوغاء فى المدينة نطلب من على أن يسلم إلينا قتلة عثمان فنقتلهم^(٣) . وقال آخرون : بل نذهب إلى البصرة فنتقوى من هناك بالخييل والرجال ونبدأ بمن هناك من قتلة عثمان، فاتفق الرأى على ذلك .

وكانت بقية أمهات المؤمنين قد وافقن عائشة على المسير إلى المدينة، فلما اتفق الرأى على المسير إلى البصرة رجعن عن ذلك وقلن : لا نسير إلى غير المدينة وجهز الناس يعلى بن أمية^(٤) . وأمرتهم عائشة رضى الله عنها بالخروج إلى المدينة، وأجمع القوم على البصرة^(٥) وردوها عن رأيها. ولايعنينا هنا أين اتجهوا، وإنما

-
- (١) الأمم والملوك ج٤ ص ٤٥٤ . القلقشندي : مآثر الإنافة ج١ ص ١٠٢ .
(٢) أبو الغداء : المختصر فى أخبار البشر المجلد الأول ص ١٧٢ . ويعلى بن منية هو الذى تذكره المصادر الأخرى باسم يعلى بن أمية . ومنية أمه وقد عرف بها كذلك . وهى منية بنت الحارث بن جابر ، من بنى مازن . وكان عامل عثمان على اليمن . خليفة بن خياط ص ١٧٩ ابن عبيد ربه : العقد ج٤ ص ٣٢٥ .
(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص ٢٣٩ .
(٤) المصدر السابق .
(٥) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص ٤٥٤ . ابن طهاتبا : الفخرى ص ٨٦ . السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٧٤ .

الذى يعنينا هنا هو شعور بعض أهل المدينة بدور السبئية المناوىء للدولة. ونلمس هذا الشعور بل نتأكد منه من ربطهم بين الطلب بدم عثمان رضى الله عنه والثأر وقتال السبئية .

وحيثما استقر رأيهم على التوجه إلى البصرة نادى المنادى "إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة، فمن كان يريد إعزاز الإسلام وقتال المحلين والطلب بثأر عثمان^(١)" هنا ربط كبير بين الطلب بدم عثمان والثأر وإعزاز الاسلام وقتال السبئية مما يؤكد شعورهم بالدور الذى لعبته ضد الدولة.

علم على رضى الله عنه وهو بالمدينة بأمر خروج طلحة والزبير وعائشة واتجهاهم نحو العراق. فقد بعثت إليه أم الفضل بنت الحارث رجلا من جهينة يدعى ظفرا فاستأجرته على أن يطوى المسافة من مكة إلى المدينة حاملا إلى على رسالة كتبتها إلى بالأنباء^(٢) . وقيل أن أخيه عقيل^(٣) بن أبى طالب كان يعتمر بمكة فأرسل إليه كتابا يحمل أنباء توجه طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة .

لما علم على بنياً خروجهم، خرج من المدينة فى آخر شهر ربيع الآخر سنة ٣٦هـ فى تعبثته التى كان قد استعد بها لأهل الشام على أمل أن يدركهم ويردهم إلى المدينة^(٤) فلما انتهى إلى الريزة^(٥) علم أنهم قد سبقوه، فأقام بها أياماً حيث أخذ يتجهز وينتهي للحاق بهم، ومنعهم من دخولها لتجنب استخدام أى عنف أو مصادمات

(١) الطبرى : الأم والملوك ص ٤٥١ . ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ١٠٦ .

(٢) الطبرى : الأم والملوك ج ٤ ص ٤٥١ . ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ١٠٧ .

(٣) ابن قتيبة : الأمانة والسياسة ج ١ ص ٥٣ .

(٤) الدينورى : الأخبار الطوال ص ١١٤ . الطبرى ج ٤ ص ٤٥٥ .

(٥) هى التى جعلها عمر رضى الله عنه حمى لإبل الصدقة قرب المدينة (البكرى : معجم ما استعجم ج ١ ص ٦٣٣) .

اتباعاً لسياسة الدين والحكمة لتي ارتآها والتي اتفق عليها مع بعض الصحابة الذين ناقشوا معه القضية فور مبايعته بالخلافة^(١) . وأرسل إلى المدينة فلحقه من أراد^(٢) .

ويبدو أن علياً رضى الله عنه كان يستشعر مدى خطورة تحركات السبئية على الدولة الإسلامية واتساع دائرة انتشارهم وبعد مراميتهم الهدامة فأخذ يحذر الناس ويوجههم إلى ما يجب عليهم أن يفعلوه حفاظاً على وحدة وسلامة الأمة فخطبهم قائلاً : "إن الله عز وجل أعزنا بالإسلام ورفعنا به وجعلنا إخواناً بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد، فجرى الناس على ذلك ماشاء الله، الإسلام دينهم والحق فيهم والكتاب إمامهم، حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزغ^(٣) بين هذه الأمة، ألا إن هذه الأمة لابد مفترقة كما افترقت الأمم قبلهم، فنعوذ بالله من شر ما هو كائن. ثم عاد ثانية، فقال : إنه لابد مما هو كائن أن يكون، ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، شرها تنتحلني ولا تعمل بعملى، فقد أدركتم ورأيتم^(٤) فالزموا دينكم واهدوا بهدى نبيكم صلى الله عليه وسلم، واتبعوا سنته، وأعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن فما عرفه القرآن فألزموه وما أنكره فردوه، وارضوا بالله جلّ وعز رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً، وبالقرآن حكماً وإماماً"^(٥) .

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص ٢٢٨ .

(٢) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص ٤٧٨ .

(٣) نزغته : حركه ، ونزع بينهم : أفسد وأغرى .

(٤) هنا إشارة إلى الدور الخفى الذى تلعبه السبئية.

(٥) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص ٤٧٩ . ابن الأثير الكامل ج٣ ص ١١٥ .

ثم سار حتى نزل بذي قار^(١) حيث واقاه عثمان بن حنيف عامله على البصرة وأخبره بما صنع حكيم ابن جبلة، وما كان من قتلهم، قتلة عثمان وكل من غزا المدينة من البصرة فأقام على بذي قار وأرسل لأهل الكوفة، فقد تطور الموقف .

دور السبئية فى وقعة الجمل :

من المؤكد والثابت أن كلا الفريقين طلحة والزبير وعائشة من ناحية وعلى من ناحية أخرى، لم يكن أيًا منهما يريد حرب الآخر ولم تكن حرب الجمل فى مخططهما على الإطلاق^(٢) فقد شعر هذا الفريق بخطورة السبئية كحركة مناوره للإسلام ورأوا ضرورة مواجهتها والتصدى لها بالقوة لوضع حد لنشاطها الهدام والقنءاء عليها بالقوة ووضع نهاية لتلك الحركة، وهو سبيل الإصلاح فى نظرهم^(٣) .

فقد أورد الطبرى شيخ المؤرخين المسلمين ما يفيد ذلك فى عدة مواقع مثل : "قنادى المنادى إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة، فمن كان يريد إعزاز الإسلام وقتال المحليين والطلب بثأر عثمان^(٤)" وفى موضع آخر يقول : "لما اجتمع إلى مكة بنو أمية ويعلى بن منية وطلحة والزبير ، انتمروا أمرهم، وأجمع ملؤهم على الطلب بدم عثمان وقتال السبئية حتى يثأروا وينتقموا..."^(٥) وفى موضع آخر على لسان عائشة يقول : "فخرجت فى المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا، وما ينبغي لهم أن يأتوا فى إصلاح هذا ... ننهض فى الإصلاح من أمر الله عز وجل وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الصغير والكبير والذكر

(١) ذى قار : ماء لبكر قريب من الكوفة.

(٢) تاريخ اليعقوبى ج٣ ص ١٨١ .

(٣) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص ٤٦٢ .

(٤) الأمم والملوك ج٤ ص ٤٥١ ، وقد ذكر ابن قتيبة فى الإمامة والسياسة ما يزيد ذلك ج١ ص ٧٠ .

(٥) الأمم والملوك ج٤ ص ٤٥٤ . أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر المجلد الأول ص ١٧٢ .

والأنثى، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ونحضكم عليه ومنكر ننهاكم عنه ونحشكم على تغييره" (١) وفي موضع آخر يقول في معرض حديثه عما حدث في البصرة: "وقالت عائشة : لا تقتلوا إلا من قاتلكم، ونادوا من لم يكن من قتلة عثمان رضى الله عنه فليكف عنا، فإننا لا نريد إلا قتلة عثمان ولا نبدأ أحداً.." (٢) ثم يسترسل قائلاً : ونادى منادى الزبير وطلحة بالبصرة : "إلا من كان فيهم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم. فجىء بهم كما يُحاء بالكلاب، فقتلوا فما أفلت منهم من أهل البصرة جميعاً إلا حرقوص بن زهير فإن بنى سعد منعه". وكان من بنى سعد (٣) وقال في موضع آخر على لسان عائشة : "... قدمنا البصرة فدعوناهم إلى إقامة كتاب الله بإقامة حدوده، فأجابنا الصالحون إلى ذلك، واستقبلنا من لاخير فيه بالسلاح، وقالوا لتتبعنكم عثمان، ليزيدوا الحدود تعطيلاً.." (٤) والمقصود هنا بكلمة "من لاخير فيه" هم السبئية ومن شارك في قتل عثمان رضى الله عنه. وكان قد تصدى لهم حكيم بن جيلة وهو أحد من باشر قتل عثمان في ثلاثائه من شارك في فتنة عثمان بالمدينة (٥).

وذكر ابن قتيبة أنه فور وصول طلحة والزبير وعائشة البصرة استقبلهم الناس يقولون : يا أم المؤمنين، مالذى أخرجك من بيتك ؟ فلما أكثروا عليها تكلمت بلسان طلق وكانت من أبلغ الناس فتحدثت إليهم وأشارت إلى وجوب النظر إلى قتلة عثمان كل من شارك في ذلك فيقتلوا به. (٦) وفيهم السبئية.

(١) الأُمم والملوك ج٤ ص ٤٦٢ .

(٢) الأُمم والملوك ج٤ ص ٤٧٠ . (وقد ذكر ابن قتيبة نفس الرواية. الإمامة والسياسة ج١ ص ٦٤).

(٣) الأُمم والملوك ج٤ ص ٤٧٢ . ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ١١٢ .

(٤) الأُمم والملوك : ج ٤ ص ٤٧٣ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٣٣ .

(٦) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ج ١ ص ٦٤ .

من كل النصوص السابقة نتأكد أن هذا الفريق لم يكن يعتمد أبداً إلى حرب على في معركة الجمل إنما كانت هناك عوامل أخرى ساقطت وأدت إليها كما سنرى فيما بعد . ومن الجدير بالذكر أن إقامة الحد ، ومواجهة الحركة بالقوة ، إنما هي للإمام أو الخليفة الذي تمت بيعته فهو صاحب القرار شرعاً ولا ينبغي النهوض إلا في طاعته . وكذلك فإن علياً أيضاً لم يكن ينوى الحرب إطلاقاً . ذكر الطبرى أن علياً رضى الله عنه لما أراد الخروج من الريزة إلى البصرة قام إليه ابن أبى رفاع بن رافع ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أى شيء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا ؟ فقال : أما الذى نريد وننوى فالإصلاح ، إن قبلوا منا وأجابونا إليه ، قال : فإن لم يجيبوا إليه ؟ قال : ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر ، قال : فإن لم يرضوا ؟ قال : ندعهم ما تركونا ، قال : فإن لم يتركونا : قال : امتنعنا منهم ، قال : فتع إذا ... " (١) .

لما حضر أهل الكوفة إلى معسكر على بذي قار؟ دعا على القعقاع من ساداتهم وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : إلق هذين الرجلين يا ابن الحنظلية فادعهما إلى الألفة والجماعة وعظم عليهما الفرقة . وقدم القعقاع البصرة فبدأ بعائشة وقال لها : أى أمة ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت : أى بنى ، إصلاح بين الناس (٢) . قال فابعثى إلى طلحة والزبير حتى تسمعنى كلامى وكلامهما . فبعثت إليهما فجاءا فقال : إنى سألت أم المؤمنين ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد فقالت إصلاح بين الناس . فما تقولان أنتما أمتابعان أم مخالفان؟ فقالا متابعان . فقال : فأخبرانى ما وجه هذا الإصلاح فوالله

(١) السابق ص ٤٧٩ . ابن الأثير: الكامل ج ٣ ص ١١٥ .

(٢) ابن قتيبة : الأمانة والسياسة ج ١ ص ٧٠ . الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٤٨٨

إن عرفناه لنصلحن وإن انكرناه لانصلح ، فقالا : قتلة عثمان ^(١) فإن هذا إن ترك كان تركا للقرآن وإن عمل كان إحياء للقرآن، فقال : قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم . قتلتما ستمانة رجل إلا رجلاً، فغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم وطلبتم الذى أفلت (حرقوص بن زهير) فمنعه ستة آلاف وهم على رجل، فإن تركتموهم كنتم تاركين لما تقولون، وإن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأدبلوا عليكم فالذى حذرتم وقريتكم به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون.

فقالا وقالت عائشة ^(٢) : فما دواء هذا الأمر ؟ فقال لأرى دواء لهذا الأمر إلا التسكين وإذا سكن اختلجوا فإن انتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة ودرك بثأر ^(٣) هذا الرجل وعافية وسلامة لهذه الأمة وإن أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافة كانت علامة شر وذهاب هذا الثأر، وبعثة الله فى هذه الأمة هزاهز، فأثروا العافية ترزقوها وكونوا مفاتيح الخير ولا تعرضونا للبلاء ولا تعرضوا له فيصرعنا وإياكم. وأيم الله إنى لأقول هذا وأدعوكم إليه وإنى خائف أن لا يتم حتى يأخذ الله من هذه الأمة التى قل متاعها ونزل بها منزل. فإن هذا الأمر الذى حدث أمر ليس يُقدَّر وليس كالأموال ولا يقتل الرجل الرجل، ولا النفر الرجل، ولا القبيلة الرجل.

فقالوا له : نعم قد أحسنت وأصبت، فإن جاء على بمثل ماقلت صلح هذا الأمر . فرجع القعقاع إلى على فأخبره بما عندهم فأعجبه ذلك ، وأشرف القوم على الصلح، كره ذلك من كرهه، ورضيه من رضيه. ^(٤)

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٧٤ .

(٢) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٤٨٨ - ٤٨٩ .

ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ١١٩ - ١٢٠ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٣٨ .

(٤) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٤٨٩ . ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ١١٩ .

ولو أمعننا النظر فى هذه السفارة التى قام بها القعقاع. نجد أنه أداها خير تادية، فقد نقل وجهة نظر علىّ وعبر عنها بدقة حتى تلاقت وجهات النظر فقد اتفقوا على ما فيه مصلحة الأمة بنبذ الفرقة التى جهدت السبئية حتى أوجدتها، وآثروا اجتماع الكلمة^(١) ورتق الفتق وتضميد الجراح .

ومن ناحية أخرى فقد أقبلت وفود قبائل البصرة نحو علىّ حين نزل بذي قار، فجاءت وفود تميم ويكر قبل رجوع القعقاع لينظروا مارأى إخوانهم من أهل الكوفة ولماذا نهضوا إليهم، ومن ناحية أخرى ليُعلموهم أن الذى عليه رأيهم هو الإصلاح، وأنه لا يخطر القتال على بالهم ولا هو فى نيّتهم . فلقوا عشائر أهل الكوفة وأخبروهم نيّتهم، فقال لهم الكوفيون مثل مقاتلهم وقدموهم لعلىّ وأخبروه خبرهم^(٢) .

هكذا التقت وجهات النظر من كلا الجانبين. التقت وفود قبائل البصرة، بوفود قبائل الكوفة وكلهم لا يريدون الحرب ولا يميلون إليها بل لا يتوقعونها فقد عبرت جميع القوى عن نواياها المنطوية على الإصلاح والسلام فأمن القوم بعضهم بعضاً^(٣) .

بعد أن رجع القعقاع من البصرة إلى علىّ بذي قار، واطمأن على حين تقاربت وجهات النظر. وتفهم الفريقان لحقيقة الموقف، جمع علىّ الناس وقام خطيباً وكأنما أراد أن يوضح الموقف للناس تمام الإيضاح كيلا يلتبس الأمر عليهم وحتى لا يتعوا فريسة سهلة فى شباك التآمر السبئى الذى كان يشعر به علىّ وإن لم يقف على مصدره أو تفاصيله أو من أين يأتى أو من أين يؤتى^(٤) كان يشعر رضى الله عنه أن هناك شيئاً يحدث ، تأمرا ماعلى وحدة هذه الأمة وإن لم تتضح القوى الرئيسية التى تخطط له. كان ببصيرته وذكائه يرى سحبا كثيفة فى الأفق وإن لم يعلم مصدرها،

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٣٨ .

(٢) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٤٨٩ .

(٣) المصدر السابق . ابن طهطا : الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٨٧ .

(٤) الدينورى : الأخبار الطوال ص ١٤٥ .

يستشعرها ويستشفها فحاول فى خطابه أن يلفت أنظار المسلمين إليها حتى يحذروها. فخطبهم : "حمد الله وذكر الجاهلية وشقاها والإسلام والسعادة وإنعام الله على الأمة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذى يليه، ثم الذى يليه، ثم حدث هذا الحدث الذى جره على هذه الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا، حسدوا من أقامها الله عليه، وأرادوا رد الإسلام والأشياء على أديارها والله بالغ أمره" (١).

فى هذا الجزء من نص خطاب على نراه يتحدث عن السبئية محذراً المسلمين من أخطارها وتآمرها، موضحاً نواياها المعادية للإسلام ودولته ولعل بقية الخطاب تكون أكثر وضوحاً وذلك حين يقول رضى الله عنه "ألا وإنى راحل غدا فارتحلوا ولا يرتحلن أحد أعان على عثمان بشيء من أمور الناس وليغن السفاء عنى أنفسهم" (٢).

فى هذا الجزء من حديث على ، يوضح رضى الله عنه العلاقة بين المتآمرين على الدولة وبين قتلة عثمان ومن أعانهم وقد سماهم أو أطلق عليهم "السفاء" وهم الذين نطلق عليهم إسم "السبئية" . كان يشعر رضى الله عنه أن الخطر إنما يأتى من هذه الجبهة التى خططت لقتل عثمان رضى الله عنه والتى أعانت على قتله وأن المتآمرين على الدولة الإسلامية وحدثها إنما إندسوا بين هؤلاء وهم الذين يحركون الأمور ويخلقون المشاكل من وراء ستار فرأى أن أفضل وسيلة للحد من كيدهم وتآمرهم، والتخلص من دسائسهم هى إبعادهم عن مسرح الأحداث وإخراجهم من الحلقة حتى تسير الأمور سيرها الطبيعى بعيداً عن تأثيراتهم وعلى ذلك أصدر قراره وطلب

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص ٤٩٣ . ابن الأثير : الكامل ج٣ ص ١٢٠ .

(٢) المصدرين السابقين . ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص ٩٩ .

منهم عدم صحبته فى إرتحاله فى الغد من الكوفة إلى البصرة لعله يتجنب خططهم الهدامة .

ومن ناحية أخرى فقد اتفق علىّ مع فريق المعارضة على الصلح وتوحيد الصف تفويتاً للفرصة على المتآمرين. ولأنه يعلم أن المعارضة إنما خرجت إلى البصرة للثأر من قتلة عثمان الذين غزوا المدينة أى "السبئية" وللإختلاف في وجهات النظر حول أسلوب وكيفية التصدى لهذه الفتنة بينه وبين المعارضة، لذلك كان عليه أن يبعدهم عن جيشه، وأن يذهب لملاقاة فريق المعارضة بالبصرة وليس بين صفوفه واحداً من هؤلاء وعلى ذلك طلب منهم صراحة ألا يرتحلوا معه وهو متجه فى الغد إلى البصرة فقال قولته السابقة^(١) وهذا مما يؤكد أنه لم يكن ينوى حرباً على الإطلاق .

ويبدو أن خلايا السبئية كانت أوسع انتشاراً من أن يحصيها الخليفة فى تلك الظروف، وكانت أعمق جذوراً وأكثر امتداداً من أن يسيطر عليها أو يجتثها فى تلك الآونة. وأن الهيئة المنظمة لها ولحركاتها كانت محكمة التنظيم باللغة السرية .

وعلى ذلك فعلىّ وإن طلب منهم عدم صحبته فى ارتحاله وتحركاته إلا أنه لم يكن يملك تنفيذ هذا القرار فى ظل تلك الظروف العصبية المضطربة . ولم تكن له أجهزة تقوم بهذا الدور .

بعد خطاب علىّ الذى تحدث فيه عن المتآمرين الذين أرادوا ردّ الإسلام والأشياء على أديبارها^(٢) والذين شاركوا فى الفتنة ومقتل عثمان والذين سماهم "السفهاء" وأنذرهم بالابتعاد^(٣) بعد أن كشفهم ووضح أمرهم للمسلمين وحذرهم من كيدهم.

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج٢ ص ٤٩٣. ابن الأثير : الكامل ج٣ ص ١٢٠ .

(٢) الطبرى : الأمم والملوك ج٢ ص ٤٩٣. ابن الأثير : الكامل ج٣ ص ١٢٠ .

(٣) المصدرين السابقين .

شعر السبئية بافتضاح أمرهم وانكشاف سترهم وخشوا مغبة ذلك وأن يحذرهم المسلمون، فلا يتم تنفيذ بقية المخطط السبئى اليهودى ضد الأمة، أو أن يقعوا تحت طائلة الحساب والعقاب .

وبعد أن صار أمر الصلح وشيكاً^(١) بنجاح السفارات التى تمت بين على من ناحية وبين طلحة والزبير من ناحية أخرى وظهر اجتماع الكلمة وأصبح الفريقان لا يشكون فى الصلح وأمن الناس بعضهم بعضاً وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية التى أشرفوا عليها^(٢) واختفت نذر الحرب وبدأ الأمر كما لو كانت سحابة صيف وانقضت. هنا أشفق السبئية على أنفسهم فحياتهم ونجاحهم لا يكون إلا باستمرار الشقاق والنزاع بين على وخصومه فباتوا أسوأ^(٣) ليلة خشية على حياتهم وعلى مخططهم وقد صاروا فى خطر لذلك قرر السبئية عقد اجتماع^(٤) لمناقشة موقفهم وما استجد على ساحة الأحداث .

اجتمع السبئية بزعامة ابن السوداء^(٥) وحضر الاجتماع بطبيعة الحال من شاركوا فى مقتل عثمان، من سار إلى عثمان ومن رضى بسير من سار، ومن أبرز الحاضرين - علباء بن الهيثم ، وعدى بن حاتم، وسالم بن ثعلبة القيسى وشريح بن أوفى. والأشتر . وخالد بن ملجم وابن السوداء^(٦) . وغيرهم فى ألفين وخمسمائة

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص ٤٨٩ . ابن طباطبا : الفخرى ص ٨٧ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج٣ ص ١٢٣ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص ٢٤٠ .

(٤) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص ٤٩٣ .

(٥) عرف ابن سبأ بابن السوداء وهو يهودى . الأشعرى : مقالات الإسلاميين ج١ ص ١١ .

(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج٣ ص ١٢٠ .

ليس فيهم صحابى ولله الحمد. فقالوا : ما هذا رأى ؟ غدا يجتمع عليكم الناس^(١).
أخذ المجتمعون فى دراسة الموقف الذى باتوا فيه والخطر المحدق بهم إذا ماتم
الصلح وما هو المخرج لهم من هذا الموقف ، طرحت آراء واقتراحات على بساط البحث
تمت مناقشتها واستعرضوا جميع الاحتمالات حتى استقروا معاً على أفضل رأى
صائب.

وقد أورد الطبرى^(٢) تفاصيل ذلك الحوار الذى يوضح مدى التأمر ضد وحدة
الأمة الإسلامية والكيد والخديعة والخطط السيئة الهدامة للإسلام ودولته. ومن الجدير
 بالذكر أن ابن سبأ هو الذى كان يرأس هذا الاجتماع فكلما طرح أحد المجتمعين فكرة
أو رأياً كان ابن سبأ يرد عليه مناقشاً مفنداً رافضاً. فكانت له الكلمة الفاصلة والرأى
الأخير .

تناول الطبرى اجتماع السيئة بقوله : "تشاؤروا ، فقالوا : ماالرأى ؟ وهذا والله
على ، وهو أبصر الناس بكتاب الله وأقرب ممن يطلب قتلة عثمان وأقربهم إلى العمل
بذلك، وهو يقول مايقول، ولم ينفر إليه إلا هم والقليل من غيرهم، فكيف به إذا شام
القوم وشاموه، وإذا رأوا قتلنا فى كثرتهم ! أنتم والله تُرادون، وماأنتم بأنجى من
شئ...".^(٣)

ومن أهم الآراء التى طرحت تلك الليلة، اقتراح الأشتر بقتل على وطلحة
لإشعال فتنة كبرى مثل ماحدث عند مقتل عثمان فإذا اشتدت الفتنة سبرى
المسلمون فى النهاية بمجرد الهدوء. سيكون الهدوء والسكون غاية المسلمين ولن
يبحثوا فى أى تفاصيل، ولكن عبد الله بن سبأ^(٤) رفض ذلك الاقتراح ووضح لهم

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص ٢٣٩ .

(٢) الأمم والملوك ج٤ ص ٤٩٣ .

(٣) المصدر السابق . ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص ٢٣٩ .

(٤) المصدر السابق ص ٤٩٤ . ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج٣ ص ١٢٠ .

نتائج السبيّة . قائلاً : بئس ما رأيتم ، لو قتلناه ، قُتلنا ، فإنّا يامعشر قتلة عثمان
فى ألفين وخمسائه ، وطلحه والزبير وأصحابهما فى خمسة آلاف ، لاطاقة لكم بهم ،
وهم إنّما يريدونكم (١) .

أما علباء بن الهيثم فقد اقترح على السبيّة أن ينصرفوا عن علىّ ويتكروه بما
يقلل عدد أتباعه وبالتالي يقوى أعدائه ويشجعهم على حربه ويغريهم به ، بينما إذا
كثر جيش علىّ والمنضمين له سيكون ذلك مما يقويهم فيخشاهم أعداؤهم ويميلوا
لصلحهم وهو ما تأباه السبيّة وتخشاه . فرفض عبد الله بن سبأ هذه الفكرة قائلاً : (٢)
"بئس ما رأيتم" وأخذ يوضح له خطورة ذلك الرأى باجتماع السبيّة منفردين فى إحدى
البلدان . مما يجعلهم هدفا واضحا وسهلا أمام المسلمين فيكونوا عرضة للانتقام منهم ،
والقضاء عليهم . قائلاً : والله كان يتخطفكم الناس (٣) .

وفى النهاية وقف ابن سبأ يعلن قرارات الاجتماع فقال : "يا قوم إن عزكم فى
خلطة الناس فصانعوهم ، وإذا التقى الناس غداً فأنشبوا القتال : ولا تفرغوه للنظر ،
فاذاً من أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع ، ويشغل الله علىّ وطلحة والزبير ومن رأى
رأيهم عما تكرهون" . فتفرق السبيّة على هذا الرأى والناس لا يشعرون ، ولا يدرون بما
نوروا عليه . (٤)

وصل علىّ بعد ذلك إلى البصرة وقد أضمرت السبيّة نيتها على ضرورة إشعال
نار الحرب بين الفريقين اثتمرت السبيّة وحسموا أمرهم على خطتهم ولا يعلم بذلك أى
من المعسكرين لعلّى ومعسكره ، ولاطلحه والزبير ومن معهما بل كان الفريقان كما

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص ٢٣٩ .

(٢) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص ٤٩٤ . ابن الأثير : الكامل ج٣ ص ١٢٠ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص ٢٣٩ .

(٤) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص ٤٩٤ . ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص ٢٣٩ .

ذكرنا فرحين مستبشرين بعقد نيتهما على الصلح لا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح^(١)
ليجتمع الناس على الخير ويلتئم شمل الأمة .

أرسل على إلى القوم يسألهم إن كنتم على ما فارقتم القعقاع عليه فكفوا
وأقرونا ننزل وننظر في هذا الأمر^(٢) فنزلوا والقوم لا يشكون في الصلح وتهدئت
السفارات بين الفريقين^(٣) وأقاموا ثلاثة أيام لم يكن بينهم فيها قتال^(٤) وكان ذلك
في النصف من جمادى الآخرة سنة ٣٦ هـ ويات الناس مطمئنين إلى السلام والصلح
ولما أشار بعض الناس على طلحة والزبير بانتهاز الفرصة والهجوم على قتلة عثمان
من الكوفيين، رفضا ذلك وقالوا^(٥) : "إن علينا أشار بتسكين هذا الأمر، وقد بعثنا إليه
بالمصالحة على ذلك" فقام السبئية في الغلس وما يشعر بهم أحد، انسلوا إلى ذلك
الأمر تسللاً ووضعوا السلاح في أهل البصرة فجأة قبل الفجر فثاروا وكان ضجيجاً
هائلاً فسأل طلحة والزبير عن الخبر، فقالوا طرقتنا أهل الكوفة ليلاً ! فقالا : قد علمنا
أن علينا غير منته حتى يسفك الدماء ويستحل الحرمه وأنه لن يطاوعنا . وسأل على
عن الخبر، وكان السبئيون قد أرسدوا رجلاً قريباً منه يخبره بما يريدون فقال لعلى^(٦)
"ما فجعنا إلا وقوم منهم بيتونا ، فرددناهم من حيث جاءوا فوجدنا القوم على رجل
فركبونا وثار الناس". فقال على : قد علمت أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى
يسفكا الدماء ويستحلا الحرمه وأنهما لن يطاوعانا .

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص ٥٠٥ . ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص ٢٣٩ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج٣ ص ١٢٢ .

(٣) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص ٤٩٥ - ٥٠٦ . ابن الأثير : الكامل ج٣ ص ١٢١ - ١٢٣ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج٣ ص ١٢١ . ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص ٢٣٩ .

(٥) المصدر السابق .

(٦) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص ٥٠٧ .

وحتى عند هذا الحد ، يحاول على التمسك بأهداب السلام وسياسة التسكين
فعندما سمع على هذه المقالة الكاذبة المخادعة من السبئية، نادى فى اتباعه بأن يكفوا
تماماً عن أى لون من القتال موضحاً لهم أنه ليس هناك شىء يدعو لذلك. ^(١) وكان من
رأيهم جميعاً فى تلك الفتنة أن لا يقتتلوا حتى يبدؤوا يطلبون بذلك الحجة ويكون
لهم الحق على الآخرين ولا يقتلوا مدبراً ^(٢) .

ذكر ابن قتيبة أن علياً خرج على بغلة رسول الله الشهباء بين الصفين فقال :
أين ابن الزبير ؟ فخرج إليه حتى إذا كانا بين الصفين اعتنق كل واحد منهما صاحبه
ويكيا ، ثم قال على يا أبا عبد الله ما جاء بك هاهنا ؟ قال جئت أطلب دم عثمان . قال
على : قتل الله من قتل عثمان ^(٣) وقد أورد اليعقوبى ما يؤيد تلك الرواية ^(٤) وهذا
مما يؤكد حسن النوايا ورغبة كلا الفريقين فى السلام والصلح .

كل ذلك والسبئية أصحاب ابن السوداء - ابن سبأ - قبحه الله لا يفترون عن
القتل ^(٥) ، ومنادى على ينادى ألا كفوا ، ألا كفوا فلا يسمع أحد .
وحرصاً على السلام بين الفريقين يسرع كعب بن سور قاضى البصرة إلى عائشة
رضى الله عنها مستنجداً بها لتهدئة الموقف بين الفريقين قائلاً : "أذكر كسى فقد أبى

(١) الطبرى : المصدر السابق .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ١٢٤ .

(٣) الأمامة والسياسة ج ١ ص ٦٨ ، ٧٠ .

(٤) تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ١٨٢ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٤٠ .

القوم إلا القتال لعل الله أن يصلح بك^(١) كل ذلك والسبئية لا تفتتر ولا تهذا^(٢) وركبت عائشة وألبسوا هودجها الأدراع .

فلما برزت من البيوت لم تلبث أن سمعت غوغاء شديدة فقالت ما هذا؟ قالوا ضجة العسكر^(٣) قالت عائشة : خلّ ياكعب عن البعير ، وتقدم بكتاب الله عز وجل فادعهم إليه ، ودفعت إليه مصحفاً . وأقبل القوم وأمامهم السبئية يخافون أن يتم الصلح فاستقبلهم كعب بالمصحف وعلى من خلفهم يزعمهم ، ويأبون إلا إقداماً ، فلما دعاهم كعب رموه^(٤) ورموا عائشة في هودجها ، فأخذت تنادى يا بنى البقية البقية ، ويزداد صوتها علواً الله الله ، اذكروا الله عز وجل والحساب ، فيأبون إلا إقداماً .

لما رأت عائشة تحركات السبئية ورفضهم الاستجابة لها والخضوع لصوت الضمير والحق ، ازداد حنقها عليهم ، وقالت : أيها الناس ، العنوا قتلة عثمان وإشباعهم ، وأقبلت تدعو ، فضج أهل البصرة بالدعاء من خلفها ، وسمع على بن أبي طالب الدعاء ، فسأل ما هذه الضجة ، فأخبروه أن عائشة تدعو ويدعون معها على قتلة عثمان وأشباعهم ، فأخذ على يدعو مثلهم بنفس الدعاء "اللهم العن قتلة عثمان وأشباعهم"^(٥) .

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٥٠٧ . ابن الأثير : الكامل ج ٣ ، ص ١٢٤ .

(٢) المصدرين السابقين .

(٣) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٥٠٧ .

(٤) الطبرى : المصدر السابق ص ٥١٣ . ابن عبد ربه : القعد لفريد ج ٤ ص ٣٢٥ .

تاريخ خليفة من خياط ص ١٨٥ .

ابن عبد ربه : القصد القريب ج ٤ ص ٣٢٥ .

(٥) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٥١٣ .

لقد ادركت عائشة أن فى الأمر شيئاً غير عادى وأن هناك أصابع تعبت بمقدرات المسلمين، وأن هناك يداً تحرك وتدفع نحو الحرب، وعقلاً يدبر ضد الصلح، ولن يكون هؤلاء سوى المتآمرين من قبل، أى السبئية قتلة عثمان، فهى تعلم أخلاق على علم اليقين، وأنه إذا قال صدق، وإذا عاهد أوفى، فكيف يقدم على الحرب بعد الاتفاق على الصلح؟ وكيف لا يستجيب أتباعه لرجائها ونداء السلام بصوتها! لذلك أخذت تدعو^(١) على دُعاة الشر، قتلة عثمان لعلها تنبه المسلمين بذلك لخطرهم الذى يهدد الحاضر والمستقبل.

يحمل كعب بن سور قاضى البصرة مصحف عائشة^(٢) وعلى يبادر المسلمين ويناشدهم الله عز وجل حقناً للدماء ويدرك كعب خطورة الموقف وكم هو عصبى فيزداد حماسة، فلما أعطى درعه رمى بها تحته كما يقول الطبرى وأتى بترسه فتتكبه، فرشقوه رشقاً واحداً فقتلوه فى الوقت الذى تمسك فيه فريق طلحه والزبير والبصريون بالصلح والسلام ويقدمون المصحف يحمله كعب بن سور، فى نفس الوقت تمسك على الكوفيين بالصلح والسلام. يحمل على^(٣) مصحفاً ويطوف بين أصحاب يطلب منهم أن يحمله أحدهم ليدعوا البصريين إليه. معنى ذلك أن الفريقين راغبان فى السلام داعيان لكتاب الله.

ويتقدم فتى كوفى عليه قباء أبيض يحمل مصحف على^(٤). فى حين يستبسل كعب بن سور قاضى البصرة حاملاً مصحف عائشة يدعوان إلى الصلح والسلام المتفق عليه فماذا حدث؟؟.

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٣ ص ١٢٥.

(٢) الطبرى: الأمم والملوك ج ٤ ص ٥٢٩. ابن عبد ربه: العقد الفریق ج ٤ ص ٣٢٥.

(٣) الطبرى: الأمم والملوك ج ٤ ص ٥١١.

(٤) المصدر السابق.

سارع السبئية^(١) أمام الكوفيين اتباعاً على ودون اكتراث لدعوة السلام، ودون اكتراث بالمصحف يستقبلون الداعيين للسلام بسيوفهم وتقطع اليد اليمنى للفتى الكوفى فيحمل المصحف بيده اليسرى، فقطعوها فأخذه ب صدره والدماء تسيل على قبائه^(٢) . ولم يمهلوهم بل شدوا عليهم، وبدأ القتال . فكان أول مقتول بين يدي عائشة من أهل الكوفة . خرج صبيان العسكرين فتسابوا ثم تراموا، ثم تتابع عبيد العسكرين، ثم ثلث السفهاء^(٣) لقد أنشب الغوغائيون القتال ونجح السبئيون فى تحقيق مخططهم كما رسموه، ورغم أن علياً طلب من الناس أن يكفوا، إلا أن الأمر قد خرج من يده والتحم الفريقان.

لم يجد الفريقان بدا من القتال، إذ لم يكن ثمة مجال لاستجلاء حقيقة الأمر، فلم يعط السبئيون فرصة لتفهم مغزى الواقع أو استبيان الموقف وتدارك الأمر. هكذا نجحت السبئية فى إشعال نار الحرب الأهلية بين المسلمين مستعرة طاحنة. وكان قتالهم من الضحى إلى قريب من العصر^(٤) ، وقيل إلى أن زالت الشمس^(٥) فقد اشتدت المعركة أمام الجمل الذى عليه هودج عائشة رضى الله عنها حتى أثقل أمامه سبعون رجلاً كل قتل وهو آخذ بخطامه ثم عقر الجمل وهزم أهل البصرة فانتهت المعركة. وكانت الواقعة يوم الخميس العاشر من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين للهجرة^(٦) . وكان القتال فى ذلك اليوم من أشد القتال هولاً. وقتل فى هذا اليوم عشرة آلاف من أعلام المسلمين^(٧) وبعد انتهاء الواقعة صلى على القتلى وأمر بدفنهم^(٨) .

-
- (١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ١٢٥ .
 - (٢) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٥١١ .
 - (٣) المصدر السابق ص ٤٩٢ .
 - (٤) ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ١٣٤ .
 - (٥) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٥١٢ ، ٥٢٣ .
 - (٦) المسعودى : التنبيه والإشراف . ص ٢٧٢ .
 - (٧) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٥٣٩ .
 - (٨) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ١٣١ .

هكذا أفسد السبئية على علي خططه، وهكذا أفسدوا اتفاق الطرفين على الصلح، رغم التفاهم الذى تم نتيجة للسفارات المتبادلة بينهما. ولم يتمكن علي من إحباط تأمرهم ذلك أنهم كانوا جزءاً من جيشه، فقد كانوا مهندسين بين الثوار الذين أحاطوا بدار عثمان وقتلوه، بل كانوا هم الذين أثاروا القبائل فى الأمصار على الخليفة عثمان حتى قتلوه . فأضاعوا هيبة الخلافة وغيروا نظرة الجماهير إلى الإمام. وجعلوا الثورة عليه أمراً ممكناً مباحاً . وما ذلك إلا لإمكان تكرار الثورات والعبث بمصائر الأمور فى الدولة . وكان ذلك جزءاً من مخططهم .

استخدم الثوار اسم علي، وبايعوا له وانضموا لجيشه. للتغريز واتخذوا علياً سلماً وخُطوه نحو مآريهم ويكفى أن الأيدى التى بايعت علياً بالأمس كانت ملوثة بدم الخليفة المقتول مما خلق كثيراً من المشاكل، ومكنتهم من تحقيق أهدافهم . وقد جاءت الفتنة بهذه الصورة نوعاً من الإرهاب اليهودى المعروف .

رؤية حول وقعة الجمل :

ورغم عنف وشراسة هذه الموقعة وضخامة عدد القتلى^(١) فيها إلا أنها لم تكن موقعة بين عدوين لدودين تأصل العداء بينهما بقدر ما كانت موقعة الطرفان فيها إخوة أوقع الموقعون بينهم، فصارا ضحية تأمر ضالع. وهذا لايعنى أننا ننفى مسئولية كلا الطرفين عما حدث . وقد ساعد على نجاح المخطط السبئى أن علياً لم يكن القوى المسيطر على ولايته وعماله وجنده، المالك لزمام الأمور فى دولته وعسكره، الواقف

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص ١٨٦ .

تاريخ اليعقوبى المجلد ٢ ص ١٨٣ .

ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٤ ص ٣٣١ .

على كل ما يحدث فيها ويدور . ترك على الجميع لشأنهم يجتمعون ويدبرون ويخططون بحرية تامة، يبيتون الشر ويكيدون له وللمسلمين حتى أنه كان ضمن مآثمروا عليه في البداية، أن يقتلوه^(١) ويلحقوه بعثمان حتى يطمئنوا على حياتهم ولا يطلب أحد بدم عثمان رضى الله عنه .

تآمروا علي عليّ وهم يجرأى ومسمع منه وهو لا يعلم بما يدبرون، ولو كان من الضبط لأمره والحيلة في شئونه لما نجحت السبئية في إشعال نار الحرب كما بينا سابقاً. فعلى كقائد جيش كان عليه أن يحيط بما يدور بين صفوف جنده من تحركات .

ولقد كان من الخطأ الكبير أن يسمح على بوجود مثل هذه الفرقة السبئية بين جنده ويترك لها الفرصة أن تركز إليه وتندس بين صفوفه، في الوقت الذي علت فيه الصيحة مطالبة بالقصاص من قتل عثمان . بينما هؤلاء لم يرضهم الصلح واتفاق الكلمة وحقن الدماء لأن ذلك ضد مصالحهم بل فيه خطر على حياتهم وسلامتهم وقد رأينا كيف اجتمعوا بقيادة ابن سبأ وكان قرارهم ضرورة انشأ القتال^(٢) بين علىّ ومعارضيه. فاتفقوا على ذلك والناس لا يشعرون وهكذا كانت مصلحة هذه الفرقة تجعلها تبذل كل جهد لتضييق فرص الصلح وإشعال الحرب فكانت السبئية الغوغاء هي التي تسير بالطرفين نحو تحقيق أهدافها ومخططها المرسوم والمتمثل في استمرار الفتنة وإضرار الحرب بين الفريقين .

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٤٩٣ .

(٢) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٤٩٤ . ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٣٩ .

وكان مجرد وجود هذه الفرقة فى جيش على كافياً لأن تحوم الشبهات حول اشتراكه فى أعمال الشغب وقتل عثمان رضى الله عنه فجر ذلك الكثير من المشاكل على على ووضعه فى أسوأ وضع. ولعل هذا أيضاً كان جزءاً من مخطط السبئية الماكر، فى هذه المرحلة للنيل من خلافة على ومن الإسلام ودولته.

ويتدارك على هذا الأمر فى ذى قار فنراه قبيل رحيله إلى البصرة يوجه كلمة للناس تحدث فيها عن أحداث المدينة ومن قاموا بها ثم أعلن قراره بإبعاد هؤلاء السبئية ومثيرى الشغب قائلاً: "ألا وإنى راحل غداً فارتحلوا، ألا ولا يرتحلن غداً أحد أعان على عثمان بشيء فى شيء من أمور الناس وليغن السفهاء عنى أنفسهم" (١).

ولو تم تنفيذ هذا القرار لتغير الموقف ولتغير وجه التاريخ، ولكن ما حدث أن السبئية عندما سمعوا هذا القرار من على، بعد الاتفاق على الصلح ارتاعوا واجتمعوا (٢) فى مؤقرهم واتخذوا قراراتهم السرية بضرورة إشعال الحرب، فارتحلوا مع الخليفة ونفذوا مخططهم، ولم نجد فى المصادر ما يفيد متابعة على أو أجهزته، لكيفية تنفيذ هذا القرار الهام. أو أسلوب تحقيقه والتأكد منه. وقد حمل أهل الشام عليا مسؤولية قتل عثمان وإبواء قتلته بعد ذلك. وقد مال السبئية منذ البداية إلى تولية على الخلافة (٣) وكان يرفض (٤) فألحوا عليه حتى قبلها.

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٤٩٣ .

ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ١٢٠ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٣٩ .

(٣) المصدر السابق . حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ج ١ ص ٢٦٧ .

(٤) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٤٢٧ - ٤٣٦ . ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ٩٨ - ١٠٠ .

وهناك سؤال يطرح نفسه لماذا أظهر الثوار بالمدينة وعلى رأسهم ابن سبأ ميلهم ورغبتهم فى تولية على الخلافة؟ لماذا تمسكوا به بعد أن ملأوا الأرض حديثاً عنه وعن حقه المقتضب فى الخلافة، وعن كونه وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ هل اتخذوا منه سلماً يرتقونه للوصول لأهدافهم ، ووسيلة يحققون بها ما يريدون؟ لعل جملة قالها عثمان رضى الله عنه لعلى تلقى بعض الضوء وتجب على هذا التساؤل. فقد قال عثمان لعلى يوماً : "والله ما أدري أى يوميك أحب إلى أو أبغض، أى يوم حياتك أو يوم موتك؟ أما والله لئن بقيت لأعدم شامتاً يעדك كنفاً ويتخذك عضداً، ولئن مت لأفجعن بك" (١) .

من هذا الحديث نستشف شكوك عثمان فى موقف السبئية ونواياهم التى يلوح بها إلى على، بعد ما أذاعوه ونشروه، فى الأمصار حول وصاية على وحقه المقتضب فى الخلافة . وكل ذلك لم يكن حباً فى على ولم يكن صادراً عن اقتناع وإخلاص بقدر ما كان وسيلة للنيل من الدولة وإثارة الفتنة والإيقاع بالمسلمين وبث الفرقة بينهم. وتشتيت شملهم . كم كان عثمان مصيباً فى هذا الحديث وكم كانت شكوكه حول هؤلاء السبئية صادقة ، ورؤيته واضحة .

وهناك من المواقف أثناء وعقب موقعة الجمل ما يؤكد رأينا وهو أن هذه المعركة لم تكن بين خصمين لدودين بقدر ما كانت انقساماً فى صف واحد، وشرخاً فى جدار واحد، أحدثه أعداء الطرفين على السواء وسعوا إليه سعياً حثيثاً . أولاً : أن طلحة والزبير وعائشة حين خرجوا إلى البصرة إنما خرجوا للطلب بدم عثمان رضى الله عنه والثأر وقاتل السبئية (٢) اتجهوا إلى البصرة للتقوى بما فيها من رجال وخيل وليبدأوا بمن فيها من قتلة عثمان .

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج٢ ص ٣٠٩ .

(٢) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٤٥٤ . ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٣١ .

ثانياً : إن علياً حينما غادر المدينة إنما خرج يبادرهم فى تعبثته التى كان يستعد بها للشام، هدفه أن يدركهم^(١) فيحول بينهم وبين الخروج^(٢) وحتى بعد أن تطور الموقف وذهب إلى البصرة فإنما ذهب للصالح لا يريد قتالاً ، وكما قال : الإصلاح وأطفاء الشائنة ليلتئم شمل الأمة .

ثالثاً : التقى القعقاع بن عمرو التميمي أحد قادة جيش عليّ خلال المعركة ، بطلحة يقاتل جريحاً فقال له : يا أبا محمد إنك جريح فلتدخل إحدى الدور بعيداً عن المعركة حرصاً على سلامتك^(٣) . فهل هذا هو سلوك العدو مع عدوه ؟ قائد يرى خصمه جريحاً يحرص على سلامته أم يجهز عليه ؟ .

رابعاً : أن ابن جرموز بعد انتهاء الموقعة ذهب لزيارة عليّ وقال لمن استقبله: قل له قاتل الزبير ، فقال عليّ : "أئذن له ويشره بالنار"^(٤) فهل العدو يفرح بانتصاره وقتل عدوه أم يحزن عليه ويبشر قاتله بالنار ؟ .

خامساً : بعد انتهاء المعركة طاف عليّ بالقتلى فلما رأى طلحه بن عبيد الله وهو صريع بين القتلى اغتم وحزن لحد بعيد وقال : "لهفى عليك يا أبا محمد إنا لله وإنا إليه راجعون والله لقد كنت أكره أن أرى قريشاً صرعى أنت والله كما قال الشاعر:

فتى كان يذنيه الفنى من صديقه إذا ما هو استغنى وبعده الفقر^(٥)

(١) المصدرين السابقين ص ٤٥٥ . ص ٢٣١ .

(٢) الطبرى المصدر السابق ص ٤٩٢ ، ٤٩٥ . ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ١٢١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ١٢٤ .

(٤) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٥١٠ . ابن عبد ربه . العقد الفريد ج ٤ ص ٣٢٣ .

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ١٣١ . ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٤٥ .

ويضيف ابن عبد ربه أن "عليا جعل يمسح الغبار عن وجه طلحة بن عبيد الله ويقول : "عزيز علىّ يا أبا محمد أن أراك متعفراً تحت نجوم السماء وفي بطون الأودية. والله إنى لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم . "ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر^(١) متقابلين" .
فهل العدو يفرح بقتل عدوه فى المعركة أم يحزن عليه ويرثيه شعراً ويعز عليه رؤيته صريعاً ؟ .

سادساً : فور انتهاء المعركة وتوقف القتال نادى علىّ فى اتباعه بأوامره قائلاً :
"لاتتبعوا موليا ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تنتهبوا مالا ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن أغلق بابه هو آمن"^(٢) فهل هذا سلوك عدو منتصر على عدوه أم سلوك الأخ والصديق ؟

سابعاً : بعد انتهاء المعركة طاف على بالقتلى وتوجع وتألم لمصرعهم . وصلى على القتلى من الفريقين ، وجمع الأطراف ودفنها فى قبر عظيم وجمع ماكان فى معسكرهم من شىء ثم بعث به إلى مسجد البصرة ليأخذه أصحابه البصريون ، وحرم على أتباعه أن يأخذوا منه شيئاً.^(٣)

ثامناً : لما سبّت إحدى النساء عليا رضى الله عنه بعد انتهاء المعركة لم يعاقبها بل لم يرد عليها ، ولما توعدّها أحد رجاله غضب علىّ وأصدر تعليماته لرجاله بعدم التعرض لأحد بسوء قائلاً : "لاتهتك سترأ ، ولا تدخلن دارا ، ولا تهيجن امرأة بأذى ،

(١) العقد الفريد ج ٤ ص ٣٢١ .

(٢) الدينورى : الأخبار الطوال ص ١٥١ . ابن عبد ربه . العقد الفريد ج ٤ ص ٣٢٤ .

(٣) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٥٣٨ . ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٤٥ .

وإن شتمن أعراضكم، وسفهن أمراءكم وصلحاءكم، فإنهن ضعاف. (١) وشدد فى ذلك حتى قال : فلا يبلغنى عن أحد عرض لامرأة فأنكل به. فهل هذا «سلوك عدو انتصر على أعدائه وظفر بهم ؟

تاسعاً : بعد انتهاء المعركة دخل على عائشة لزيارتها والاطمئنان عليها. وأمر بأن تجهز إلى المدينة فجهزت خير جهاز وأعطاها مبلغاً كبيراً من المال، وضرب من تكلم عنها ونال منها مائة جلدة دون الثياب (٢) وسير معها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات. وأرسل معها أخاها محمد بن أبى بكر ليصحبها حتى المدينة وقيل أرسل معها الحسن والحسين مسيرة يوم . وفى يوم رحيلها جاء على بنفسه ليكون فى وداعها وحضر الناس لوداعها فقالت أمام مشيعيها "والله ما كان بينى وبين على فى القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندى من الأخبار (٣) " . وقال على أيها الناس صدقت والله وبرت وإنها لزوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة . وكان ذلك فى يوم السبت غرة رجب عام ست وثلاثين للهجرة . وسار فى ركبها أميالاً. (٤)

فهل مثل هذا اللقاء ومثل هذا الوداع، لقاء قائد منتصر ظافر لأعدائه المنهزمين؟ أم وداع إخوة وأحبه ؟

ومن الجدير بالذكر أن عليا عندما زار عائشة فى دار عبد الله بن خلف (٥) الخزاعى كان فى هذه الدار عدد من الجرحى مختبئين لاجئين لدى عائشة. وأخبر على

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٥٤٠ . ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ١٣١ .

(٢) الطبرى الأمم والملوك ج ٤ ص ٥٤٠ . ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ١٣٢ . ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٤٦ .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٤ ص ٣٢٨ . ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ١٣٢ .

(٤) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٥٤٤ . ابن طباطبا : الفخرى ص ٨٩ .

(٥) تاريخ اليعقوبى المجلد ٢ ص ١٨٣ . ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٤٦ .

بمكانهم فتغافل عنهم وتجاهل ولم يقربهم بسوء. كان يمكنه أن يأمر بقتلهم كأي قائد انتصر على أعدائه وظفر بهم، لكنه لم يفعل . وفى ذلك يقول اليعقوبى : "ثم آمن الأسود والأحمر" (١)

عاشراً : ذكرت المصادر أن كلا الفريقين كان ينادى أثناء المعركة بنفس الشعار الذى ينادى به الآخر . هؤلاء يقولون لا إله إلا الله والله أكبر، وهؤلاء يقولون لا إله إلا الله والله أكبر. (٢) معنى ذلك أنهما على هدف واحد ومبدأ واحد وليس هناك ما يدعو للقتال فلم يختلفا على شيء جوهرى . كلا الطرفين يرفض الفتنة وقتل عثمان ويكره الغوغاء والسبئية، لكنهما اختلفا فى أسلوب مواجهة تلك الحركة المعادية ، رأى على سياسة اللين والتسكين والتؤدة حتى يمكنه أخذ الحقوق (٣) فهو يتريص بهم الدوائر حتى يتمكن منهم (٤) فى حين مال فريق طلحة والزبير إلى سرعة الثأر لمقتل عثمان وقتال السبئية. ثم اتفق الطرفان على الصلح باتباع سياسة على (٥) :

إن كل ماسبق إنما يدل على الأخوة التامة بين الفريقين، ويوضح مدى التقارب بينهما وإن كان لكل وجهة نظره واجتهاده الخاص لكنها لا ترقى إلى درجة الخصومة فهم إخوة أوقع بينهم الموقعون وتمكن منهم المخطط السبئى .

هكذا تأمر السبئيون، وهكذا حققوا ما أرادوا . وهكذا يتضح عمق الدور الذى لعبته السبئية فى إشعال الفتنة، وراث الفرقة بين أبناء الأمة فمقتل عثمان كان نتيجة

(١) تاريخ اليعقوبى المجلد ٢ ص ١٨٣ . الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٥٤٠ .

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط ص ١٩١ . ابن عبد ربه : العقد ج ٤ ص ٣٢٧ .

(٣) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٤٣٧ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٣٠ .

(٥) المصدر السابق ص ٢٣٩ .

لجهودهم. ثم إن مقتل عثمان "فى حد ذاته كان سبباً فى خروج طلحة والزبير وعائشة. كما كان مقتل عثمان السبب المباشر فى النزاع بين على ومعاوية واستمرار الفتنة بكل ما اشتملت عليه من مآسى. وقد رأينا كيف يوجه السبثيون مسار الأحداث حسب هواهم. ففى الوقت الذى يتفق الطرفان، على من ناحية وطلحة والزبير وعائشة من ناحية أخرى على الصلح^(١) يقرر السبثيون ضرورة نشوب الحرب وحققوا ما أرادوا فكانت وقعة الجمل بآثارها البعيدة المدى فى التاريخ الإسلامى . وحتى بعد انتهاء معركة الجمل يظل السبثيون على مناوأتهم لعلى .

السبثية فى الكوفة :

إن انتهاء معركة الجمل على هذا النحو لم يرض السبثية المناوئة، للإسلام ودولته. ويبدو أن أحلامهم فى النيل من الإسلام، ومراميمهم الهدامة، كانت أبعد من ذلك بكثير، فلم يقنعوا بما حدث - فموقعة الجمل مهما كانت ضراوتها، انتهت مع مغيب شمس اليوم ذاته، لم يستغرق اشتباك المسلمين إلا يوماً إلى أن زالت الشمس^(٢) وبات المسلمون بعد ذلك صفاً واحداً. بل إن البيهقي ذكر أن المعركة استمرت أربع ساعات فقط .

بعد انتهاء المعركة بايعت البصرة كلها لعلى بالخلافة^(٣) . بل إن طلحة بن عبيد الله وهو يحتضر، حينما حملوه جريحاً تنزف دماؤه بغزارة وأدخلوه إحدى دور البصرة^(٤)، يحرص طلحة على أن يجدد البيعة لعلى بالخلافة قبيل وفاته. فهو حينما

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ١٢٣ .

(٢) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٥١٢ ، ٥٢٣ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ١٢٤ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ١٢٤ .

رأى أحد رجال علىّ سأله فلما تأكد أنه من رجال علىّ قال له : أبسط يدك أبايعك له ، فبايعه (١) .

فى السويغات الأخيرة من حياة الإنسان ، وألتي يُشغل فيها المرء بأمر نفسه عن الدنيا وما فيها ، فى الجراح النازقة وما يصاحبها من آلام تُنسى الإنسان ماحوله ، فى هول المطلق ، يحرص طلحة بن عبيد الله على تجديد البيعة لعلىّ . هل أراد طلحة بذلك أن يغلق الباب ويسد الطريق على السبئية ؟

كل ما حدث فى أعقاب المعركة من علىّ ، سلوكه وتعليماته (٢) كانت كلها تضييداً للجراح وتوحيداً للصف . موقف علىّ من عائشة رضى الله عنهما ، وموقفها منه وما دار بينهما . تسامح علىّ بعد المعركة مع الجميع . لا إله إلا الله والله أكبر ، شعاراً يهتف به الفريقان ، إلتفا حوله حتى فى أخرج اللحظات رغم قعقة السيوف . كل ذلك جعل السبئيين يشعرون بأنهم فشلوا فى تحقيق ماتصبر إليه نفوسهم .

إنها هيمنة الإسلام على أتباعه ، ورسوخ العقيدة فى نفوس المسلمين ، تأصلت فيها وذابت حتى صارت تجري فى دمائهم . تلك العقيدة التى وحدت الصف ، وعليها قامت الدولة . انتهت معركة الجمل ولا زالت الدولة قائمة ولا زالت الخلافة قائمة والتم الشمل ولم يتحقق هدف السبئية ، وعلى ذلك فهم غير راضين ، ولم تشتت نفوسهم بعد . لذلك سنراهم يستمرون فى مناوأتهم لعلىّ .

تحدثنا عن مواقف علىّ بعد المعركة وسلوكياته إزاء البصريين بعد انتصاره عليهم . ورأينا كيف كانت مواقفه وقراراته أخويه ودية ، فقد منع جتده عن الأموال قائلاً : "لا تنتهبوا مالا" فكانوا يملكون على الذهب والفضة فى معسكرهم والمتاع أمامهم لا يعرض له أحد (٣) .

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ١٢٤ .

(٢) تاريخ اليعقوبى : المجلد ٢ ص ١٨٣ . الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٥٤٠ .

(٣) الدينورى : الأخبار الطوال ص ١٥١ .

وأمر علىّ المنادى فنادى : "... ولكم مافى عسكرهم، وعلى نسائهم العدة، وماكان لهم من مال فى أهليهم فهو ميراث على فرائض الله^(١) . وهنا ثارت ثائرة البعض غاضبين من ذلك غير راضين عن هذا القرار^(٢) الذى جاء مداوياً للجراح مسكناً للنفوس ، وفى ذلك يقول الطبرى : "فقال قوم يومئذ : مايحل لنا دماءهم ويحرم علينا أموالهم؟ وهؤلاء القوم هم السبئية^(٣) والمدفوعين بتوجيه منهم لإثارة المشاكل والشغب، واستمرار اشتعال الفتنة بين صفوف المسلمين. طعن السبئية^(٤) فى علىّ حين نهى عن أخذ أموال البصريين . ويرد عليهم علىّ مقنعاً بحجة قوية قائلاً : القوم أمثالكم من صفح عنا فهو منا، ونحن منه، ومن لجّ حتى يصاب ققتاله منى على الصدر والنحر^(٥) .

وقام رجل فقال : ياأمير المؤمنين كيف لاثحل لنا نساؤهم ولاأبناؤهم^(٦) ؟ فقال علىّ : لايحل ذلك لكم. ولما حاولوا الضغط عليه وقادوا فى ذلك وأكثروا قال علىّ ببرهان ساطع وأسلوب ساخر، قال : "اقترعوا ، هاتوا بسهامكم .. أيكم يأخذ أمكم عائشة فى سهمه؟^(٧) .

هكذا تناوىء السبئية عليا. فبعد انتهاء المعركة وهدوء العاصفة أرادت السبئية خلق عداة جديد، وإثارة فتنة أخرى بين المسلمين. كلما خمدت النار، أشعلوها من

(١) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ج ١ ص ٧٢ . جاءت رواية الطبرى تؤيد ذلك .

(٢) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٥٤١ .

(٣) المصدر السابق ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ١٣٢ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٤٥ .

(٥) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٥٤١ .

(٦) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ج ١ ص ٧٢ .

(٧) المصدر السابق .

جديد لتأكل الأخضر واليابس. لم يتركوا الموقف ليمر بسهولة بل جعلوا منه قضية لإثارة القلاقل، ولكن على تصدى للموقف بردود مقنعة ومنطق واعي متزن. ورأى على تعويض رجاله بعد أن التزموا بقراره . فبعد انتهائه من أمر معركة الجمل وكل مايتعلق بها . وبعد أن قرع من بيعة أهل البصرة، نظر على في بيت المال فوجد فيه أكثر من ستمائة ألف فقسمها على من شهد معه الواقعة، فكان نصيب كل رجل منهم خمسمائة درهم .^(١)

وبذلك عالج على الموقف وارتضت النفوس مما بعث على الهدوء وبعد بهم عن التشاحن والتطاحن. وبطبيعة الحال تلك نتيجة لا تتفق وهوى السبئية لذلك عادوا ورفضوا توزيع الأموال، معترضين عليه. دون أن يبدوا أسباباً مقنعة، لكنهم تحدثوا في ذلك رافضين لهذا الرأي، طعنوا فيه وطعنوا في على^(٢) من خلفه دون أن يواجهوه. وتتجمع السبئية الحاقدة ولا تلتزم بأوامر على ويغادرون البصرة بغير إذنه رافعين راية العصيان متعجلين الرحيل قبله^(٣) .

ورغم أن علياً كان ينوى المقام بالبصرة بعض الوقت لإصلاح الأحوال بها ومعالجة أمورها^(٤) . رغم أنه كان يريد البقاء في البصرة ويشعر أن ذلك أمراً ضرورياً، إلا أن رحيل السبئية المفاجيء للبصرة ودون إذن من على ، اضطره إلى مغادرتها واللاحاق بهم^(٥) فقد خشى على أن يقدموا على أن عمل من شأنه الإضرار

(١) الطبري : الأمم والملوك ج ٤ ص ٥٤١ . ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٤٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ١٣٢ .

(٣) الطبري : الأمم والملوك ج ٤ ص ٥٤٣ . ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ١٣٣ .

(٤) الطبري : الأمم والملوك ج ٤ ص ٥٤٤ . ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ١٣٣ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٣ ص ١٣٣ .

بالدولة، فأراد أن يكون قريباً منهم مراقباً لتحركاتهم لذلك أثر سرعة مغادرة البصرة والرحيل في إثرهم. وفي ذلك يقول الطبري : "ارتحل في آثارهم ليقطع عليهم أمراً إن أرادوه" (١).

انتقل ابن سبأ وأعوانه إلى الكوفة (٢) مركز نفوذ على ومقر الخلافة الجديد وقلب الأحداث حتى يكونوا قريبين منها وحتى يتمكنوا من تنفيذ خططهم ضد الإسلام ودولته وحتى ينجحوا في تنفيذ المرحلة الثانية من مخططهم وليس من المستبعد أن يكون ابن سبأ قد اتصل بيهود العراق في تلك المرحلة وتعاونوا معه .

سعى ابن سبأ إلى على وتقرب منه وتظاهر بحبه، وكان قد تشيع له ونادى بحقه في الخلافة خلال المرحلة السابقة في خلافة عثمان. وأخذ يردد في الكوفة ما كان يروجه من قيل حول فكرة الوصاية، فذكر لهم أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصياً، وأن علياً وصى محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه خير الأوصياء . (٣)

ففكرة وصاية على ليست وليدة تلك الآونة في الكوفة بعد انتهاء معركة الجمل. فقد كانت هذه الفكرة هي الورقة التي لعبت بها السبئية (٤) في المرحلة الأولى من تأمرها في خلافة عثمان رضى الله عنه . بل كانت هي الأداة التي آثارت بها مشاعر بعض المسلمين في الأمصار، وكونت بها رأياً عاماً ثائراً ضد الخليفة، الذي لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووثب على وصى رسول الله واغتصب منه الخلافة بغير حقها. (٥)

(١) الأمم والملوك ج٤ ص ٥٤٤ .

(٢) الأشعري : مقالات الإسلاميين ص ٥٩ . البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٣٣ .

(٣) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٣٥ .

(٤) الطبري : الأمم والملوك ج٤ ص ٣٤٠ .

(٥) المصدر السابق ص ٣٤١ .

ولو رجعنا للوراء شهوراً بعد إتمام البيعة لعلی بالمدينة. لرأينا بعض الموجودين يتبارون كل لإلقاء كلمته، ومنهم مالك بن الحارث الاشر الذي قام فقال : "أيها الناس، هذا وصی الأوصیاء، ووارث علم الأنبياء، العظیم البلاء.." (١) هكذا يشید المتحدثون بعلی باعتباره وصی رسول الله صلی الله علیه وسلم . ففكرة الوصایة التي تناولها ابن سبأ وأعوانه من قبل أخذ يروج لها الآن ويذيعها بين الناس.

اتقن ابن سبأ الدور الذي لعبه متظاهرا بحب علی حتى صدق ذلك كثير من المسلمين. ونقلوه إلى علی قائلين له : إن ابن سبأ من محبيك. فرفع علی قدره وقربه منه وسمح له بالجلوس تحت درجة منبره. (٢) وبذلك أخذ ابن سبأ مكانة بين المسلمين فی الكوفة مما أتاح له فرصة كبيرة لتحقيق أهداف تلك المرحلة وهي ضرب العقيدة الإسلامية ذاتها، وذلك بإدخال تأويلات عليها لإفسادها . بعد أن ثبت أنها الرابطة المتينة التي تربط أبناء هذه الأمة، والعماد القوى الذي تقوم عليه تلك الدولة ولن تُهدم هذه الدولة ولن تتفرق هذ الأمة إلا بضرب تلك العقيدة وهدمها.

وأهم تلك التأويلات يتمثل فی فكرة الوصایة ثم الرجعة بعد ذلك وأخيراً فكرة الحلول ، أي حلول روح الإله فی البشر ومايتبع ذلك ومايرتبط به من فكرة التناسخ. وذلك لتخريب المجتمع الإسلامي من داخله، بضرب أسسه الروحية ونخر كيانه الإسلامي العربي وبث قيم مناهضة لقيمه الأصيلة" .

أخذ ابن سبأ يغلو فی علی رضی الله عنه فزعم أنه نبی (٣) وأخذ ينشر هذه الفكرة بين المسلمين (٤) ثم ازداد غلوا وزعم أن روح الأله حلت فی علی وأن علیا أله

(١) تاريخ اليعقوبي المجلد الأول ص ١٧٨ .

(٢) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٣٥ .

(٣) الأشعري : مقالات الإسلاميين ص ٥٩ . البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٣٣ .

(٤) من الجدير بالذكر أنه حتى الآن هناك بعض فرق من الشيعة الإيرانية التي تعتقد أن علی هو صاحب الرسالة وليس محمد وأن الوحي أخطأ بينهما ونزل علی محمد.

وأخذ يدعو إلى ذلك بعض أهل الكوفة ^(١) وفي ذلك يقول الأشعري "يُزعم أن علياً أله ^(٢) ويدعو إلى ذلك قوماً من غواة الكوفة فيتبعونه على ضلالته ^(٣) انتشر أعضاء التنظيم من السبئية بين المسلمين ينفذون مخططهم ويبشون دعاواهم ، فاستجاب لهم كثير من المسلمين مخدوعين لا يدرون شيئاً عن نوايا السبئية الهدامة وحقدهم على الإسلام ودولته . فانتشرت الدعوة واتسعت دائرة الحركة السبئية وتشعبت بين أبناء الأمة .

وكان من الطبيعي أن يكون هناك من ينقاد إلى تلك الحركة ويتأثر فكرياً بتلك الآراء ، خاصة بين الأجيال الجديدة من المسلمين وفي الطبقات المحدودة الثقافة والتعليم.

وصلت أنباء تلك الحركة إلى مسامع عليٍّ ووقف على أبعادها فاستاء منها واستنكرها . وإمعاناً في التمويه يذهب بن سبأ في جماعة من أعوانه إلى الخليفة عليٍّ وحين يلقاه يحاول استمالته قائلاً له : "أنت أنت " أي أنت الإله حقاً ^(٤) ، ولم تنطلي الحيلة على عليٍّ الذي عرف غُلُوَّ بن سبأ وتطرفه وأدرك حقيقة نوايا السبئية المعادية للإسلام ، بعد يقينه من خروجهم على العقيدة ومحاولتهم هدمها بنشر تلك المبادئ الهدامة وعلى رأسها تأليه عليٍّ.

لقد طال صبر عليٍّ وفشلت كل محاولاته لمعالجة الأمور باللين فيما سبق والآخراً وقد تطاول ابن سبأ وأعوانه على العقيدة ذاتها ، فلا بد من الحسم والحزم مادامت الأمور قد وصلت إلى ذلك الحد . إن علياً بما عرف عنه من قوة وصرامة ووضوح في مواجهة المواقف ، كان لا بد أن يأخذ موقفاً صلباً إزاء محاولات التلاعب بالعقيدة الإسلامية ، فعلى أن يسمح بذلك مهما كانت الظروف .

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٢٣ . الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٧٤ .

(٢) جولدتسيهر : العقيدة والشرعية في الإسلام ص ٢٢٩ .

(٣) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٥٩ .

(٤) الأشعري : مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٨٦ .

لذلك يأمر على بإحراقهم فحفرت حفرتان لهذا الغرض وتم فعلاً إحراق جماعة منهم^(١) وهم على بقتل ابن سبأ نفسه^(٢) لولا أن نهاه عبد الله بن العباس وقال له: "إن قتلتني اختلف عليك أصحابك، وأنت عازم على العود إلى قتال أهل الشام، وتحتاج إلى مداراة أصحابك"^(٣) لذلك تراجع على عن قتل ابن سبأ. ورأى إخراجه من الكوفة فنفاه إلى المدائن.^(٤)

لقد تبرأ على^(٥) من ابن سبأ وأعوانه بعد ماسمع منهم هذه المقالة وعذبهم وعاقبهم عليها، فكان موقفه من السبئية واضحاً صريحاً كما أبغضهم بنوه من بعده. ويمرور الزمن غابت تلك الحقيقة عن المسلمين .

أخذ ابن سبأ يتحرك وأعوانه في القسم الشرقي من الدولة يبثون ما شاءوا من دعاواهم مستترين بحبهم لعلى. وتشيعهم له فافتتن به الكثيرون. وكان قد نشر فكرة الوصاية وملأ بها الآفاق الإسلامية في خلافة عثمان، وجعلها الأداة التي ألّب الناس بها عليه وكون بها رأياً عاماً ضده حتى ثاروا عليه، أخذ ابن سبأ ودعائه يتناولون فكرة الوصاية لعلى في تلك المرحلة وأنه وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الأشعري : مقالات الإسلاميين ص ٥٩ . (قيل أنهم ١١ رجلاً).

(٢) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٣٥ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) الأشعري : مقالات الإسلاميين ص ٥٩ . البغدادي : الفرق بين ص ٢١ ، ص ٢٣٥ .

(٥) ابن قتيبة المعارف ص ٦٢٢ .

ابن عبد ربه : العقد الفرید ج ٣ ص ٤٠٤ .

ونراه يتقرب بها أولاً إلي على "نفسه ثم ليكسب ثقة المسلمين المحبين للنبي وآل بيته فيقبلوا منه كل مايقوله لهم بعد ذلك، فكان بذلك يضع لهم السم فى الدسم. ثم إنه فى المرحلة الأولى لم يكن قد توغل فى المشرق الإسلامى. والآن حين نفاه على إلى الدائن جعل منها فرصة استغلها أحسن استغلال فانطلق يتفد المخطط السبئى اليهودى فى المشرق فى الأراضى الفارسية فنشر فكرة الوصاية، فانتشر التشيع بين الفرس. كما نشر فيهم فكرة الرجعة أى رجعة محمد التى كان قد تحدث بها فى مصر^(١) وتناقلوها عنه .

فكان يقول : "عجبت ممن يقول برجعة عيسى ولايقول برجعة محمد والله يقول. "إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد"^(٢) فمحمد أحق بالعودة والرجوع من عيسى. وهكذا أخذ فى التشكيك فى العقيدة" ولو تذكرنا أن الناس آنذاك على فطرتهم حديثو عهد بالإسلام خاصة من لايعرفون الفلسفات، واليدو الذين يعيشون معهم على جانب من الجلافة والصلابة إذا اقتنعوا بشيء، ضعف استخلاصه من نفوسهم. لو تذكرنا ذلك لعرفنا مدى خطورة حركة ابن سبأ فى نشر آرائه بين المسلمين. وأثر ذلك على العقيدة الإسلامية ذاتها، التى تقوم عليها الدولة، والتى تربط أبناء الأمة .

فى هذه المرحلة الثانية سيخرج ابن سبأ ودعائه على المسلمين بأفكار جديدة ولن يقتصر على ماكان قد بثه سابقاً. فقد تناول فكرة الحلول^(٣) أى حلول روح

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص ٣٤٠ .

(٢) سورة القصص آية ٨٥ .

(٣) ابن خلدون: المقدمة ص ١٩٨ . جولدتسيهر: العقيدة والشرعة فى الإسلام ص ٢٠٥ - ٢٠٧ .

الإله فى البشر، ويشها بين المسلمين فى المشرق الإسلامى لقد أله علياً وزعم أنه إله" (١) ، بل إنه واجه علياً بذلك وذكرها أمامه، إمعاناً فى التضليل وليسهل تصديق المسلمين لها. وقد نفاه على لذلك وأبعده عنه كما ذكرنا بلغت شراسة التآمر على العقيدة أن أظهروا بدعتهم فى زمان على كما يقول البغدادي. ولولا خوف على من شماتة أهل الشام واختلاف أصحابه عليه لحرق ابن سبأ نفسه وبقيّة أعوانه. لخروجهم على الإسلام.

وحينما قُتل على رضى الله عنه، زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن علياً، إنما كان شيطاناً تصوّر للناس فى صورة عليّ ، وأن علياً صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم عليه السلام، وقال : "كما كذبت اليهود والنصارى فى دعاواها قتل عيسى كذلك كذبت النواصب والخوارج فى دعاوها قتل عليّ، وإنما رأت اليهود والنصارى شخصاً مصلوباً شبهوه بعيسى، كذلك القائلون بقتل عليّ رأوا قتيلاً يشبهه علياً فظنوا أنه عليّ وأن علياً قد صعد إلى السماء". (٢)

زعم ابن سبأ أن علياً حتى لم يميت لأن فيه الجزء الإلهي (٣) ولا يجوز أن يموت . وزعم أن علياً فى السحاب وأن الرعد صوته وأن البرق سوطه، (٤) والسبئية من سمع منهم صوت الرعد قال : عليك السلام يا أمير المؤمنين. (٥)

(١) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٣٣ ، الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١١٤ .

(٢) البغدادي : الفرق بين الفرق . ص ٢٣٣ .

(٣) الأشعري : مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١١ . الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٧٤ .

(٤) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٣٤ . أورد الشهرستاني تلك الرواية غير أنه ذكر أن "البرق

تبسمه" ج ١ ص ١٧٤ .

(٥) المصدر السابق .

وقد روى عن عامر بن شراحيل^(١) الشعبي أن ابن سبأ قيل له : إن علياً قد قُتل، فقال : إن جئتمونا بدماعه في صرة لم نصدق موته، لا يموت حتى ينزل من السماء ويملك الأرض^(٢) بحذاقيها .

وفي ذلك يقول الشاعر :^(٣)

برئت من الخوارج، لست منهم
ومن قوم إذا ذكروا علياً
يردون السلام على السحاب
من الغزال منهم وابن باب

وقالت السبئية أيضاً بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة^(٤) بعد علي رضي الله عنه، فالتناسخ مرتبط بالحلول. أظهر ابن سبأ هذا القول ونشره بين الناس فكان بذلك أصل الغلو في الإسلام والأصل الذي انشعبت منه أصناف الغلاة^(٥) والغلاة هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم عن حدود الخليقة والبشر. وحكموا فيهم بأحكام الألوهية فصارت لهم فرق مختلفة عديدة انشعبت كلها وانبثقت عن أقوال عبد الله بن سبأ. وكل فرق الغلاة متفقون على التناسخ والحلول . وقد يكون الحلول بجزء، وقد يكون الحلول بكل ، أما الحلول بجزء فهو كإشراق الشمس في كوة، أو إشراقها على البللور، أما الحلول بكل، فهو كظهور ملك بشخص، أو شيطان بحيوان. وللتناسخ مراتب منها : النسخ ، والمسح ، والفسخ ، والرسخ .^(٦)

(١) النوبختي : فرق الشيعة ص ٤٣ وما بعدها.

أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية ج ١ ص ٤٢.

(٢) هو أبو عمرو، عامر بن شراحيل الهمداني ، الكوفي ولد في خلافة عمر، وكان علامة التابعين، وهو أكبر شيوخ أبي حنيفة توفي عام ١٠٤ هـ .

(٣) الأشعري : مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٨٨ . البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٣٤ .

(٤) الأشعري : مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٥٩ .

(٥) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٧٤ .

(٦) المصدر السابق ص ١٧٣ - ١٨٩ .

لم يكتفى ابن سبأ بتأليه على ومبدأ الحلول والتناسخ بل نراه فى هذه الفترة عقب مقتل على رضى الله عنه يتناول فكرة الرجعة أى رجعة الإنسان بعد الموت إلى الدنيا. وضع لهم رجعة على هذه المرة. لقد أكد ابن سبأ أن علياً حى لم يميت وأنه سينزل من السماء ويملك الأرض بعذافيرها. (١) وسيرجع إلى الدنيا وينتقم من أعدائه. (٢) أكد ابن سبأ عودة على إلى الأرض ليملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً (٣) وارتبطت بذلك فكرة المهدي المنتظر الذى تصوره السبئية فى على دون غيره (٤).

انتشرت تلك الأفكار انتشاراً سريعاً فى مشرق العالم الإسلامى خاصة بين الفرس وانتشر التشيع. وبذلك نجحت الحركة السبئية فى تحقيق أهدافها فى تلك المرحلة والمتمثلة فى ضرب العقيدة الإسلامية باعتبارها الرابطة التى تربط أبناء الأمة فإذا ضَعُفت تلك الرابطة سقطت تلك الأمة فى مهاوى الضعف .

انطلق عبد الله بن وهب بن سبأ زعيم الحركة اليهودية الظاهر آنذاك من منطلقات ثلاث فقد أحدث فى هذه الأمة ثلاثة أمور كان لكل منها الأثر البالغ فى تفريق كلمتها ، وتصديق وحدتها وتشعب أمرها وهى :

الأمر الأول : كان ابن سبأ أول من أحدث القول بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب بالإمامة، فعلى وصى الرسول وخليفته على الأمة من بعده بالنص يوم الغدير. (٥)

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٣٤ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الشهرستانى : الملل والنحل ج ١ ص ١٧٤ .

(٤) الأشعرى : مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٥٩ .

(٥) جولد تسيهر: العقيدة والشرعة فى الاسلام ص ١٩٦ وما بعدها، ص ٢٠٣.

بطروشوفسكى: الإسلام فى إيران ص ١٨٩-١٩٠ (نقلا عن الطبرى).

الأمر الثاني : كان ابن سبأ أول من أحدث القول برجعة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته . ثم طور الفكرة بعد ذلك فأحدث القول برجعة^(١) على رضى الله عنه إلى الدنيا بعد موته . وما ارتبط بذلك من فكرة المهدي المنتظر .

الأمر الثالث : كان ابن سبأ أول من أحدث القول بأن علياً لم يقتل ، وأنه لا يزال حياً ، وأنه يسكن السحاب ، لأن فيه جزء إلهي^(٢) أى أن روح الإله تحل في البشر . وما ترتب على ذلك من القول بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة . أى أن الجزء الإلهي يحل في الأئمة^(٣) ، لذلك استحقوا الإمامة دون غيرهم .

والواقع أن أكثر هذه القضايا مأخوذ عن اليهودية^(٤) دين ابن سبأ ، والتي كان يعرفها قومه يومئذ ، بل إنه كان يستدل لمن يخدعهم على صحة هذه القضايا ببعض ما عرف من أحوال موسى عليه السلام مع شيء من التمجيد والتحريف^(٥) .

تلك هي جهود السبئية في خلافة علي ، وهي جهود جبارة هدامة ضالعة في المكر والخداع والتآمر . تشيع السبئية لعلي وطالبوا بحقه في الخلافة . وبايعوا له بها وأصروا وانضموا لرجاله وانضوا تحت لوائه ، وكان ذلك جزءاً من المخطط . ثم مهدوا لإشعال نار الفتنة واستغلوا كل موقف لصالحهم . حتى كانت معركة الجمل .

(١) جولد تسيهر : العقيدة والشرعة ص ٢١٥ . وما بعدها .

(٢) جولد تسيهر : العقيدة والشرعة في الإسلام ص ١٩٦ . وما بعدها ، ص ٢٠٣ .

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٧٤ .

(٤) جولد تسيهر : العقيدة والشرعة ص ٢٢٩ .

(٥) الأشعري : مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١١ .

ثم تقربوا من عليّ ونشروا تلك الأفكار المنافية للعقيدة ولاشك أنهم استعانوا
بيهود العراق وفارس فانتشر التشيع سريعاً .

ومن هذه الآراء الفاسدة التي نثت سمومها عبد الله بن سبأ تفرعت آراء كثير
من الفرق، فمن تعاليمه تشعبت أقاويل أنواع الغلاة من الرافضة بكل ما حملت من
أفكار وآراء بعدت بهم عن إطار العقيدة الإسلامية. وزجت بالمسلمين في تيار الفرق
المتناحرة.

ومن الجدير بالذكر أن ابن سبأ أول من أظهر القول بالنص بإمامة عليّ رضي الله
عنه، ومنه انشعبت أصناف الغلاة^(١) ومن المؤكد أن السبئية بأقوالهم تلك، قد خرجوا
على العقيدة. وفي ذلك يقول البغدادي: "وهذه الفرقة ليست من فرق أمة الإسلام
لتسميتهم عليها إلها"^(٢) .

وقد أجمع المحققون من أهل السنة على أن ابن سبأ الملقب بابن السوداء كان
على هوى دين اليهود، وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته في عليّ ثم في
أولاده^(٣) من بعده . فإبن سبأ قد أظهر وفاقاً وأضر نفاقاً .

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٧٤ .

(٢) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢١ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٣٥ .

دور السبئية فى وقعة صفين

ونتساءل هل انتهى دور السبئية بمعركة الجمل؟ هل كان للسبئية دور فى معركة صفين وما نتج عنها من نتائج بعيدة المدى فى التاريخ الإسلامى؟ وهل هناك علاقة ما أيا كانت بين السبئية وبين الخوارج؟ وما هو دور كل من القيسية واليمانية فى خضم هذا الصراع؟ وما هو دور بنى قميم؟

كل تلك الأسئلة بحاجة إلى دراسة جادة متأنية توضح إجاباتها وتصل إلى أغوار تلك المرحلة بما فيها من حقائق .

رأينا كيف لم تصفُ الخلافة لعلیؑ ، ولم تسر الأمور سيرها الطبيعى ولم تستقر . لقد انتفض الناس على علیؑ ولم تهدأ الأحوال فى المدينة أو الشام أو حتى فى الكوفة . اختلف الناس فى أمر علیؑ إختلافا بعيد المدى بينما يغلو بعضهم فى شأنه غلوا يصل إلى حد تقديسه وتأليهه، يغلو بعضهم فى الوقیعة به والهجوم علیه غلوا بعيدا أيضا، وبين هذا الغلو، وذاك الغلو درجات كثيرة .

حتى جيش علیؑ وشيعته الحقيقية التى كانت تفديه بالنفس والمال، حتى هؤلاء إمتدت إليهم يد السبئية المخربة تفريقا وتشتيتا. فخرجت منها جموع على طاعة علیؑ.

إستمر السبئية فى إشعال نار الفتنة، جمعوا لها أوشاب^(١) الناس وإنطلقت

(١) الأوشاب من الناس هى الأوباش أى الأخلاط. وهم الضروب المتفرقون وفى الحديث أن قريشا ويشت لحرب النبى صلعم أوباشا لها أى جمعت له جموعا من قبائل شتى. ابن منظور : لسان العرب المجلد السادس ص ٣٦٧. مادة " ويش " .

حملة دعائية تتناول صيغاً وإصطلاحات جديدة وغريبة مثل : إقامة كتاب الله، وإقامة الحدود، ولاحكم إلا الله وغير ذلك.

ونتساءل لماذا لم تصف الخلافة لعلى رغم سابقته وجهاده فى الإسلام ومكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

هناك تفسير ساد بين بعض المؤرخين المحدثين مؤداه أن الثورة على عثمان ماهى إلا ثورة القبائل العربية فى شبه الجزيرة على قريش لاستئثارها بالخلافة، وأن تلك الثورة جاءت إنتصاراً للتيار القبلى على التيار الإسلامى، أو هى انتصار للعصبية العربية على العصبية الإسلامية. وإن عثمان ذهب ضحية تلك الظروف، فلما برىح على جاء يمثل التيار الإسلامى فى إتجاهاته وميوله، فى ظروف استعلاء التيار القبلى وإنتصاره.

فالقبايل دخلت الإسلام كما دخلت قريش وهاجرت لإعلاء رايته ولكن قريشا استأثرت بالخلافة وقادت وتزعمت. ومما زاد من هذا التذمر، أن عامة القوات الفاتحة كانت من القبائل فأكد هذا شعورها بأنها مغبونة. فلما انقسمت قريش على نفسها، وجدت القبائل فرصتها سانحة للتدخل، كما ظهرت نزعة أقليمية لعلها تطور للنزعة القبلية فى الأمصار بمعنى عدم إرتياح الأقاليم لسلطة المدينة وسيادتها، إذ أن الموارد كانت تُرسل من الأمصار إلى بيت المال بالمدينة أى أن الفتنة بكل مراحلها إنما جاءت نتيجة للصراع أو التصادم بين التيار الإسلامى من ناحية والتيار القبلى من ناحية أخرى: أى أن خلافة على كلها كانت صراعاً بين التيارين الإسلامى، والقبلى.

قد يبدو هذا تفسيراً مقنعاً . لكننا نتساءل لماذا إستيقظ التيار القبلي في هذه الآونة بالذات ؟ ولماذا إشتد في خلافة علي على هذا النحو وليس في خلافة عمر مثلاً ؟ لماذا لم يتقدم أو يتأخر عنف هذا التيار عن خلافة علي ؟ وهل ظهر هذا التيار وإشتد هكذا تلقائياً ؟ ما الذي أبقظه ونمّاه ؟

هذا هو دور السبئية الحبيث الذي لعبته في تلك المرحلة . إننا نلمح أصابع السبئية تحرك وتتحرك في خضم أحداث صفين . لقد نجحت السبئية في تأليب القبائل العربية في الأمصار على قريش بالمدينة . نجحت في تأليب القوى الإسلامية بعضها ضد البعض أثاروا النزعة القبلية والنزعة الإقليمية رغم أن الإسلام يرفض العصبية بكل ألوانها . ورغم أن الرسول صلى الله عليه وسلم إستطاع أن يرتفع بالعصبية القبلية ويحولها إلى عصبية للإسلام .

وقد رأينا كيف كان ابن سبأ يجوب^(١) أنحاء العالم الإسلامي هو ورجاله ، وكيف كان له بها أنصار وأعوان ، وكيف كانت هناك مراسلات^(٢) متبادلة بين السبئية وبين الأمصار الإسلامية المختلفة .

لاشك أن ابن سبأ وأعوانه عملوا على إيقاظ تلك المشاعر وبعث هذه النزعة حتي تبلورت تلك العصبية فإن كانت هناك ثورة للقبائل على قريش فالسبئية هم الذين أيقظوا تلك المشاعر وأثاروها وغذوها حتى اشتد ساعدها فكانت الثورة .

(١) الطبري : الأمم والملوك ج٤ ص ٣٤٠ .

ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ٧٢-٧٣ .

(٢) الطبري : الأمم والملوك ج٤ ص ٢٣١ .

ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ٧٧ .

والخلاصة ان السبئية كانوا من خلف أحداث صفين. ساعدتهم على ذلك انضمامهم لجيش على فكانوا بذلك قريبين من الأحداث يؤثرون فيها ويحددون مسارها.

فلم يكن من المستحيل استمرار بقاء الخلافة فى قريش آنذاك لولا جهود السبئية بدليل استمرار الخلافة فى قريش طوال العصرين الأموي والعباسي مما يؤكد وجهة نظرنا.

ومن ناحية أخرى فإن أهل الشام بزعامة معاوية أبوا أن يبايعوا لعلى بالخلافة حتى يقتل قَتْلَةُ عثمان - السبئية - أو أن يُسلمهم إليهم. وان لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه^(١). ولم يكن على يستطيع إقامة الحدود على الجناه والتحقيق معهم فى ظل تلك الظروف، كان لابد من الانتظار مدة ريثما يستتب الوضع، ويتمكن الحكم ويستقر، وتستعيد الخلافة هيبتها. خاصة أنهم قد انضموا لجيشه، فكانوا بذلك سببا مباشرا للصراع بين على وبين معاوية والشاميين، وتطور الموقف فكانت معركة صفين التى قُتل فيها سبعون ألف قتيل^(٢) من المسلمين، والتى كانت لها نتائج بالغة الخطورة فى التاريخ الإسلامى.

ذكر الدينورى أن أبا الدرداء، وأبا أمامه الباهلى دخلا على معاوية، وعاتبه على خلافه لعلى وهو أحق منه بالأمر. فرد معاوية أنه يقاتل على لأنه أوى قتلة عثمان. وقال: سلوه أن يُسلم إلينا قتلة عثمان وأنا أول من يبايعه. فذهبوا إلى على وعرضا عليه الأمر. فأعزل من عسكر على زهاء عشرين ألف رجل فصاحوا: "نحن جميعا قتلنا عثمان"^(٣)

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٥٦.

(٢) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ٤٧٥.

(٣) الدينورى : الأخبار الطوال ص ١٧٠.

إن أول من انتدب علياً للخلافة هم الثائرون على عثمان الذين قتلوه فلما آواهم في جيشه ولم يقتص منهم، أخذ أهل الشام من ذلك أن علياً ممالىء لهم على فعلتهم فصارت شبهة وأثر ذلك على موقف عليّ ، وكما ذكرنا سابقاً لعل انضمام السبئية لجيش عليّ كان جزءاً من مخططهم الماكر لإثارة القوى الإسلامية بعضها ضد البعض.

كما أنهم حين انتدبوه للخلافة وأعطوه أيديهم بالطاعة كانوا يرون أنفسهم أصحاب منه عليه. وأولياء نعمة وأصحاب فضل أسدوه إليه، فكانوا يرون أنفسهم شركاء في أمره وسلطانه. فكانوا ينازعونه في الآراء بجرأة. ويمكن القول أن السبئية حددوا مسار الأحداث في وقعة صفين وحركوا الأمور على النحو الذي يريدوه والذي يحقق أهدافهم المرسومة .

والواقع أن علياً قد أدرك المخطط السيئ المرسوم وفهمه في صفين حق فهمه إلا أنه لم يتمكن من إحباط ذلك المخطط، ولم يستطع عرقلته أو إيقاف تنفيذه. فقد أضطر لخوض غمار معركة صفين بشراستها كما وصفتها النصوص وما جاء عن ليلة الهرب وكيف مرت مواقيت أربع صلوات لم يُسجد لله فيهن إلا تكبيراً^(١) .

وحينما صار النصر وشيكاً وصار الأشتر النخعي على وشك دخول معسكر معاوية ولاح خطر الهزيمة لجند الشام^(٢) وظهرت دلائل الفتح والنصر لأهل العراق، استقبلوا علياً وجيشه بخمسائة مصحف^(٣) مرفوعة وهم ينادون يا أهل العراق كتاب الله بيننا وبينكم^(٤) طالبين بذلك التحكيم.

(١) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ٤٧٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٨٨.

(٣) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ٤٧٨.

(٤) المصدر السابق ص ٤٨١.

رفض على التحكيم قائلا: "اللهم إنك تعلم أنهم مالكتاب يريدون..."^(١) واختلف أصحاب على. طائفة رأت استمرار القتال على رأسها الأشتر النخعي، وطائفة رأت المحاكمة ووقف القتال وعلى رأسها الأشعث بن قيس الكندي ف وقعت الكارثة.

وموقف الأشعث بن قيس يستحق الدراسة لإيضاح الشكوك التي تحوم حوله. هل للأشعث أى صلة بالسبئية؟ ماهو دور اليمانية والقيسية فى ذلك؟ هل يمكن أن يقال أن الأشعث بن قيس آثار حمية اليمانية عشيرته ضد أبناء القبائل العربية الشمالية فى جيش على؟ فقد قام الأشعث بن قيس الكندي فى أصحابه من كندة خطيبا وطلب وقف القتال محذرا لهم من استمراره قائلا: ".... إنا ان نحن توافقنا غدا إنه لفناء العرب وضبعة الحرمات...." وقد أورد نصر بن مزاحم نص هذا الخطاب^(٢) فكان بذلك اول من طالب بوقف القتال.

ووصلت تلك الأنباء الى معاوية فاستحسنها ورفع الشاميون المصاحف بعدها مباشرة، ورفض على فكرة التحكيم. وهنا قام الأشعث غاضبا فقال لعلى: "... أجب القوم إلى كتاب الله فإنك أحق به منهم. وقد أحب الناس البقاء وكرهوا القتال."^(٣)

ثم إن الأشعث طلب من على أن يرسله إلى معاوية للتفاوض فى الأمر. وفعلا ذهب واتفق مع معاوية على أن يكون لكل طرف رجل يمثل به اجتماعان ويعملان بما فى كتاب الله. وتشبث بعرض معاوية ودافع عنه^(٤) واقنع أهل العراق بذلك دون استشارة على.

(١) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ٤٧٨.

(٢) وقعة صفين ص ٤٨١. الدينورى الأخبار الطوال ص ١٨٨ وما بعدها.

(٣) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ص ٤٨٢ وما بعدها. الدينورى: السابق ص ١٩٠.

(٤) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ٤٩٩.

واختار الأشعث ومعه من صاروا خوارج^(١) بعد ذلك أبا موسى الأشعري ليمثل
علىّ وقسكوا به ورفض علىّ هذا الاختيار ورشح عبد الله بن العباس لهذه المهمة فثار
الأشعث قائلا: "لا والله لا يحكم فيها مضريان حتى تقوم الساعة، ولكن اجعله رجلا
من أهل اليمن إذ جعلوا رجلا من مُضَر^(٢)

ثم إنه عند كتابة عهد التحكيم كتبوا: "هذا ماتقاضى عليه علىّ أمير
المؤمنين...." فقال معاوية: بئس الرجل أنا إن أقررت أنه أمير المؤمنين ثم قاتلته.
وقال عمرو: أكتب اسمه واسم أبيه، إنما هو أميركم، وأما أميرنا فلا.^(٣)

وقال له الأحنف: لا تفتح اسم "إمرة المؤمنين عنك فإنني أتخوف إن محوتها لا ترجع
إليك أبدا. فأبى علىّ ذلك مليا من التها^(٤) وهنا ينطلق الأشعث مطائبا علىّ بمحو
اسم إمرة المؤمنين من الصحيفة ويصر على ذلك فكان ما أراد^(٥) وكُتب الكتاب على
هذا النحو: بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ماتقاضى عليه علىّ بن أبي طالب ومعاوية
بن أبي سفيان...."^(٦)

ثم خرج الأشعث بن قيس يقرأ الكتاب على الناس ويقتنعهم به وسمع نداء
المحكمة في مواقع عدة . فلما رجع إلى علىّ بالصحيفة أخبره أن الناس جميعا

(١) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ٤٩٩.

(٢) المصدر السابق ص ٥٠٠.

(٣) نصر بن مزاحم: ومعه صفين ص ٥٠٨. الطبري: الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٨-٤٩.

(٤) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ٥٠٨. الطبري: الأمم والملوك ج ٥ ص ٥٢.

(٥) المصدرين السابقين . تاريخ اليعقوبي المجلد ٢ ص ١٨٩.

(٦) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ٥١٠. الطبري: الأمم والملوك ج ٥ ص ٥٣.

راضون عنها ولم يرفضها إلا القلة واخفى الحقيقة عن عليّ قائلاً له: قد عرضت الحكومة على صفوف أهل الشام وأهل العراق، فقالوا جميعاً قد رضينا ، حتي مرت برايات بنى راسب وتبذ من الناس سواهم فقالوا: لا نرضى. فلنحمل بأهل العراق وأهل الشام عليهم فنقتلهم. فقال عليّ: هل هي غير راية أو رايتين ونبد^(١) من الناس؟ فقال بلى. قال عليّ دعهم. وظن عليّ أنهم قليلون لا يُعبأ بهم^(٢).

وهنا نتسائل لماذا يخفى الأشعث الحقيقة عن عليّ؟ ولماذا يحمله عليّ حرب من رفض الصحيفة؟ ثم ماهي دوافعه في كل المواقف التي ذكرناها؟

لعبت السبئية دوراً في معركة صفين وماتلاها من أحداث فقد فرضوا على عليّ قبول التحكيم رغم ارادته ووقف عليّ^(٣) يقنع جيشه بأن رفع المصاحف خدعة، وأن هؤلاء القوم ليسو بأصحاب دين ولا قرآن فهو أعرف بهم فقد صحبهم أطفالاً ورجالا .

وهنا يثورون. جاءه زهاء عشرين ألف مُقنعين في الحديد شاكي السلاح، سيوفهم على عواتقهم يتقدمهم مسقّر بن فدكي، وزيد بن حصين، وعصابة من القراء الذين صاروا خوارج فيما بعد فنادهه باسمه لا بأمر المؤمنين يا عليّ أجب القوم إلى كتاب الله وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان ، فوالله لنفعلنها إن لم نجبههم^(٤)

(١) النبذ بالفتح: الشيء القليل . وجمعه أنباذ.

(٢) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ٥١٣. أكد الطبري نفس الرواية .

(٣) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ٤٨٩.

(٤) المصدر السابق ص ٤٩٠-٤٩١. تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ١٨٩.

وعبثا يحاول على إقناعهم برفض التحكيم لأنه مكيدة وقد ظهرت دلائل النصر. ويغضب هؤلاء ويأمرونه أن يبعث إلى الاشر ليوقف القتال، ولا يستجيب الاشر مبعوث على إذ كان النصر وشيكا. فيثور هؤلاء مُتهمين عليا بأنه أمر الاشر باستمرار القتال لا إيقافه. مهددين إياه بأنه إن لم يرجع الاشر فورا سيقتلوه كما قتلوا عثمان أو يسلموه إلى عدوه (١).

هكذا أجبروا على وقف القتال وقبول التحكيم (٢) فقال لهم على: فأحفظوا عني نهى إياكم، واحفظوا مقاتلكم لي. فلم يكن بوسعه أن يفعل شيئا.

ثم إنهم أصروا على اختيار أبي موسى الأشعري ممثلا لعل في التحكيم دون غيره، رغم موقفه من على. وكان على يفضل الاشر أو عبد الله بن العباس ويرفض تماما أبا موسى (٣) لكنهم يصرون على اختيار أبي موسى ولا يرضون بغيره بديلا ويجبرون على ذلك. فقد قال الأشعث، وزيد بن حصين، ومسعر بن فدكي في عصابه من القراء: إنا لا نرضى إلا به. قال على: قد أبيتم إلا أبا موسى؟ قالوا نعم قال: فأصنعوا ما أردتم. (٤)

(١) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ج ٤٩١. أكد الطبري رواية نصر بن مزاحم.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ج ٢ ص ١٨٩ وما بعدها.

الطبري: الأمم والملوك ج ٥ ص ٥٥ وما بعدها.

(٣) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ٤٩٩-٥٠٠ الطبري: الأمم والملوك ج ٥ ص ٥١-٥٣.

(٤) الدينوري: الأخبار الطوال ص ١٩٣.

وكان ما أرادوا هم . وتم الإتفاق وكتبت صحيفة العهد والتحكيم . وخرج بها الأشعث بن قيس يقرأ الكتاب على الناس ويعرضه عليهم. فقام قتيان من عترة قائلين: "لاحكم إلا لله" وحملا على أهل الشام بسيفيهما حتى قُتلا على رواق باب معاوية فكانا أول من حكّم. وهما أخوان اسمهما معدان وجعد^(١).

ومر الأشعث بالصحيفة على رايات قميم فقال رجل منهم "لاحكم إلا لله" فقال رجل منهم لآخر^(٢): أما هذا فقد طعن طعنة نافذة !! وخرج عروة بن أديه التميمي أخو مرداس بن أديه التميمي فقال: "أتحكّمون الرجال في أمر الله ، لاحكم إلا لله".

فما راع على إلا نداء الناس من كل جهة ومن كل ناحية "لا حكم إلا لله يا على" لا لك، لا نرضى بأن يحكم في دين الله^(٣). إن الله قد أمضى حكمه في معاوية وأصحابه، أن يقتلوا أو يدخلوا في حكمنا عليهم..، وقد كانت منا زلة حين رضىنا بالحكمين، فرجعنا وتبنا، فارجع أنت يا على كما رجعنا وتب إلى الله كما تبنا وإلا برئنا منك. فقال على^(٤): ويحكم أبعد الرضا والعهد نرجع وقد أمرنا الله بالوفاء بالعهد.

(١) أنصر بن مزاحم ص ٥١٢. الدينوري: الأخبار الطوال ص ١٩٦.

(٢) أنصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ٥١٣. الطبري: الأمم والملوك ج ٥ ص ٥٥.

(٣) المصدر السابق ص ٥١٣.

(٤) أنصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ٥١٤ وما بعدها.

أبى على أن يرجع، وأبت الخوارج إلا تضليل التحكيم والطعن فيه وبرئت من على ويرى منهم^(١) وهكذا أجبروا عليا على قبول التحكيم، ثم تبرأوا منه بسبب التحكيم الذى اختاروه هم.

إن فرقة السبئية التى كانت تتخلل جند على وجيشة لم يكن من مصلحتها أن يسود هدوء أو يكون إتفاق أو صلح بين الطرفين فهم لا يتوانون عن إشعال الفتنة كلما خمدت أو أوشكت لذلك كان لهذا التحكيم الذى اتفق عليه الطرفان نتيجة من أسوأ النتائج فى خلافة على .

خرج الناس الى صفين وهم أحياء متوادون، فرجعوا وهم أعداء متباغضون يضطربون بالسياط^(٢) وقبل وصولهم إلى الكوفة انشق جماعة من جيش على وهم الرافضين للتحكيم ونزلوا قرية حروراء قرب الكوفة. وهم الذين أطلق عليهم الحرورية أو المحكمة.^(٣) ودخل قسم من المحكمة الكوفة وكانوا يصلون خلف على وكثيرا ما كانوا يقاطعون فى خطبته بالمسجد منادين بشعارهم "لا حكم إلا لله" واستمروا يدعون على لرفض التحكيم حتى يتسوا . وكان رد على على شعارهم: "كلمة حق يراد بها باطل"^(٤) ولم يكن يمنعهم أعطياتهم.

(١) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ص ٥١٤ - ٥١٧ .

(٢) البلاذرى : انساب الأشراف ج ٢ ص ١٩٢ . الطبرى : الأمم والملوك ج ٥ ص ٥٧-٦٣ .

(٣) المصدرين السابقين . تاريخ يعقوبى المجلد ٢ ص ١٩١ .

(٤) الطبرى : الأمم والملوك ج ٥ ص ٧٢ - ٧٣ . تاريخ يعقوبى المجلد ٢ ص ١٩١ .

اجتمع المحكّمة فى منزل عبد الله بن وهب الراسى الذى خطبهم ^(١) فحثهم على الخروج وقد أورد الطبرى نص الخطاب ومن الجدير بالذكر أن بعض زعمائهم اكانوا من السبئية الثوار مثل حرقوص بن زهير. وشريح بن أوفى القيسى - مما يؤكد العلاقة بين السبئية والخوارج . وأمروا عليهم عبد الله بن وهب الراسى ^(٢) الذى قبلها قائلا : والله لاأخذها رغبة فى الدنيا ولا أدّعها فرقا من الموت فبايعوه فى شوال سنة ٣٧ هـ وجعلوا أمير القتال شبت بن رعى التميمى . وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء البشكرى والأمر شورى بعد الفتح ^(٣) واتفقوا على الخروج وحدانا مستخفين ^(٤) وكاتبوا أشياعهم بالبصرة ليتلاقوا فى النهراوان.

ثم كان استعراضهم وقتلهم المسلمين حتى النساء والأطفال وفشلت محاولات علىّ معهم ^(٥) . حتى كانت معركة النهراوان . .
مر علىّ وهم صرعى فقال : "بؤسا لكم ! فقد ضركم من غركم ، فقالوا : ياأمير المؤمنين من غرهم؟ قال : أنفس بالسوء أمارة غرتهم بالأمانى ، وزينت لهم المعاصى ، ونبأتهم أنهم ظاهرون ^(٦) .
ونحن نرى أن السبئية لها دورها هنا . فهى التى زينت وأوهمت وأشعلت نار الفتنة والحرب بين القوى الإسلامية وأوجدت الاختلاف فى وجهات النظر فهذا جزء من

(١) المصدر السابق ص ٧٤.

(٢) البلاذرى : انساب الأشراف ج٢ ص ١٩٥ ومابعدها.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج ٣ ص ١٦٥.

(٤) الطبرى : الأمم والملوك ج ٥ ص ٧٥.

(٥) المصدر السابق ص ٨١ - ٨٤.

(٦) الطبرى : الأمم والملوك ج ٥ ص ٨٨.

المخطط أن يندسوا بين المسلمين بأفكارهم وآرائهم يوقعون بينهم .
ويبدو من أسماء قادة الخوارج أن معظمهم ينتمى إلى القبائل العربية الشمالية
التي أسلمت متأخرة ولم يكن لها تراث حضارى فى الماضى . وظل أفرادها يمثلون النزعة
البدوية التى يمكن استثارة الروح القبلية فيها ضد السلطة المركزية لقريش بالمدينة . أى
من القبائل التى لاتقبل الخضوع بسهولة والتى لم تتأصل العقيدة فى نفوسهم وتتعمق
مثل غيرهم بعد . فتميم من أكبر القبائل المضربة شأنا وعددا كما أنها دخلت الإسلام
متأخرة وأتت الرسول صلى الله عليه وسلم فى آخر الوفود . كما أنها ارتدت بعد وفاته
وادعى أشخاص منها النبوة مثل سجاح ويقال أن شيث ابن رعى التميمى ^(١) ، أحد
زعماء الخوارج كان مؤذنا لسجاح حين ادعت النبوة .

وقد خذل بنو تميم على بن أبى طالب فى معركة الجمل وحاربوا معه فى صفين
ولكنهم مالبتوا أن صاروا من الخوارج ^(٢) ويبدو أن قبيلة تميم كانت من القبائل التى
استهدفتها السبئية واستغلتها فى مخططاتها ضد الدولة الإسلامية .
لقد وجدت السبئية فى تميم بذلك أرضا خصبة لزرع ماتريد من أفكار ومبادئ
حسب مخططاتهم . ومن الجدير بالذكر أن السبئية لم يكن لها مبدأ ثابت سوى القضاء
على سيادة الإسلام . فقد كانوا يجعلون لكل مرحلة ما يناسبها من أقوال وفلسفات .

ونتوقف عند الشعار الذى ظهر فجأة فى جيش على وبين جنده فى مواقع
مختلفة ، نفس الشعار بنفس الألفاظ كما لو كان محفوظا معروفا لديهم جميعا من
قبل .

(١) ابن قتيبة: المعارف ص ٤١٥ .

(٢) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ٥١٣ .

تاريخ اليعقوبى : المجلد ٢ ص ١٩٠ .

إن شعار "لا حكم إلا لله" الذى رفعه الخوارج حين شقوا عصا الساعة على على بعد صفين ، والذى يفسر عادة على أنه رد فعل من جانب الخوارج ضد قرار اتخذه على سمح فيه لرجلين - الحكيمين - بالبت فى النزاع بينه وبين معاوية، ويُعتقد أن الخوارج أصروا على أن الرجلين كانا من الممكن ألا يكون لهما رأى يقطعان به فى أمر أقره الله. لأن التحكيم أو إصدار الحكم هو من إختصاص الله وحده.

هذا التضارب بين الإنسان وبين الله، أو موقف الخوارج واعتراضهم على التحكيم بهذه الكيفية انما يذكرنا بموقف طائفة القراءيين اليهودية وماساقوه من حجج ضد خصومهم التلموديين، فقد رموهم بالكفر لأنهم أعطوا الإنسان حصّة فى سلطان الله، عندما اعترفوا بالقانون الشفوى Oral law - الذى هو من صنع البشر- مصدرا للتشريع مثلما يفعل الكفار فلا سلطان على البشر إلا لله ، ولا تكون السلطة شرعية إلا إذا كانت تحكم بسم الله ووفق مشيئته. (١)

(١) نزلت التوراة على موسى تحمل شرائع الملّة. استخرج موسى الأحكام من النص الإلهى وكتبه بخط يده وسمى هذا الكتاب بالعبرانية "مشنا" وعندما غزا طيطش Titus القدس وخرّبها الخراب الثانى فُقدت نسخ المشنا التى كانت لديهم. ولم يبق معهم من كتب الشريعة سوى التوراه وتفرق بنو إسرائيل، إلى أن جاء رجلاّن منهم هما شماى ، وهلال نزل مدينة طبرية وكتبيا كتابا أسماه "مشنا" تضمن أحكام شريعتهم وهو فى ستة أسفار وقد مات شماى وهلال دون أن يكتملا المشنا فأكمّله رجل منهم يعرف بيهودا من ذرية هلال. وحمل اليهود على العمل بما فى هذا المشنا.

وبعد ذلك بنحو خمسين سنة قامت طائفة من اليهود يقال لهم السنهدوين ، أى الأكابر ، وتصرفوا فى تفسير هذا المشنا برأيهم وعملوا عليه كتابا اسمه "التلمود" أخفوا فيه كثيرا مما كان فى ذلك المشنا وزادوا فيه أحكاما من رأيهم ، فوضعوا التلمود وكتبوه بأيديهم ونسبوا ما فيه إلى الله تعالى لذلك ذمهم الله تعالى فى القرآن الكريم بقوله تعالى: "فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت بأيديهم وويل لهم مما يكسبون" .

إن شعار " لا حكم إلا لله " الذى رفعه المحكمة فى صفين ماهو إلا صورة لما حدث فى اليهودية . صورة لما ساقه القراؤون من حجج ضد خصومهم التلموديين.

هكذا يتضح أن شعار الخوارج مستوحى من نفس الصراع بين فرقتي القرائين والتلموديين اليهوديتين وخاصة أن الخوارج الأول كانوا من القرآنيين الراقضين للسنة وسلطان الإمام والمصرين على أن السلطة لا تكون إلا فى كتاب الله وحده.

شعار لا حكم إلا لله هو فى حقيقته تجسيد لموقف القرائين من التلموديين فى اليهودية وانعكاس له مما يؤكد أنه صورة من صور الدس السبئي اليهودى فى حادثة التحكيم لبث الفرقة بين المسلمين وإشعال نار الحرب بينهم.

= وطائفة القرائين لايمتثلون فى العمل بما فى هذا التلمود وهم طائفة مستقلة عن الطوائف اليهودية الأخرى نتيجة للخلاف فى وجهات النظر وفى التفسير وقد كان لطائفة القرائين معابد خاصة بهم فى القاهرة .

المقريزى : المخطط ج ٢ ص ٤٦٤ - ٤٨٠

جواد على: الفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج ١ ص ٥٣ - ٥٦ .

إتصل ابن سبأ بيهود العراق ثم بيهود فارس أثناء إقامته بالكوفة ثم بعد أن أخرجهم على منها ونفاه إلى المدائن^(١) واتفقوا وخططوا لضرب الإسلام ودولته الفاتحة المنتصرة الصاعدة، بفرض وقف توسعها في العالم ووقف انتشار الإسلام وانسياحه في الأرض وقيادته للبشرية بعد ظهوره على الدين كله.

وقد كانت هناك أعداد كبيرة من اليهود في العراق، في الكوفة والبصرة والمدن العراقية المختلفة ولكما تقدمنا شرقا زاد عدد اليهود^(٢) في الأراضي الفارسية . وبذلك استغل ابن سبأ يهود فارس في خلافة عليّ لنشر التشيع بين الفرس. لقد كان هناك دعاة منتشرون^(٣) وحركة منظمة فانتشر التشيع سريعا في إيران واستغلت المشاعر والنزعات القومية الفارسية فكانت إيران بذلك أرضا خصبة لنشر التشيع. لقد كانت المجوسية كامنة كالنار تحت الرماد فجاءت ريح التشيع فأبجعتها وأخرجتها. لقد ركب السبئية اليهود موجة التشيع^(٤) بعد أن تحالفوا مع المجوسية ضد الإسلام. فالظاهر هو التشيع وحب آل البيت والباطن هو ضرب الإسلام^(٥) ودولته وإشعال الحركات والثورات كلما خمدت واحدة أشعلوا غيرها لتنتسم دولة الإسلام التي فئتين متصارعتين أبد الدهر مما يؤدي الى استنزاف قوى

(١) الأشعري : مقالات الإسلاميين ص ٥٩.

البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢١، ص ٢٣٥.

(٢) آدم ميتز : الحضارة الإسلامية ج ١ ص ٦٤ وما بعدها.

(٣) مقالات الإسلاميين ص ٥٠.

الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٤١، ص ٣٤٦.

(٤) بطروشوفسكى : الإسلام في إيران ص ٨٥.

(٥) ابن حزم : الفصل في الملل ج ٢ ص ١١٥.

المسلمين واستهلاك طاقتهم واستنفاد جهدهم بعيدا عن أهداف الإسلام وغاياته الحقيقية وتلك هي وسيلة القضاء على قوة الإسلام وسيادته.

والدليل على ذلك هو بصمات اليهود القوية الواضحة في التشيع إلى جانب البصمات المجوسية الفارسية . فالأصول اليهودية اتضحت في التشيع بالقول بالرجعة والوصية، كما ظهرت فكرة تحريم النار على الشيعة فالشيعة يقولون أن النار محرمة على الشيعة، كما قال اليهود " لن تمسنا النار إلا أياما معدودات" (١).

وهكذا يتضح التحالف اليهودي المجوسي وصار له جناحان جناح عقائدي فكري خاص بالتخطيط وهذا الجناح هو الذي أدخل الغلو على التشيع بكل الأفكار المتطرفة التي تحدثنا عنها سابقا والتي سارت بالتشيع بعيدا عن الإسلام ويبدو أن هذا الجناح كان من إختصاص اليهود. ثم جناح تنفيذي عليه عبء تنفيذ المخطط وذلك بالقيام بالحركات الثورية ويبدو أن هذا الجناح كان في يد الفرس الذين كانوا جندا لكل حركات التشيع بعد ذلك بل كانوا جندا منضمين إلى كل الحركات الثورية المعادية للدولة الإسلامية. إنضموا إلى كل ثائر على الخلافة الأموية العربية فحاربوا السيادة العربية بسلاح الإسلام واتخذوا من الدين سندا لضرب العروبة.

فرح شيعة الكوفة بوفاء معاوية ونادوا بحق عليّ وأبنائه في الخلافة محتجين بوصاية الرسول لعليّ بالنص يوم الغدير. ثم ماكان من سوء معاملة ولاية

(١) أحمد أمين : فجر الإسلام ص ٢٧٦.

قال تعالى : "وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة"

سورة البقرة آية ٨٠. سيد قطب ظلال القرآن ج ١ ص ٨٣.

الأمويين لهم خاصة. زياد بن أبيه وأرهابه لهم. وما كان من قتل حجر بن عدي. لذلك اجتمعوا في دار سليمان بن صرد واتفقوا على أن يرأسوا الحسين يستقدموه ليسلموا إليه الأمر. وكتبوا إليه فعلا. وخرج الحسين في أهل بيته بعد أن أرسل ابن عمه مسلم بن عقيل الي الكوفة ثم ماكان من خروج جيش عبيد الله بن زياد ومأساة كربلاء.

فكانت كربلاء فرصة سانحة لأولئك الخاقدين والمتورين الذين جاهرُوا بإسلامهم دون إيمان حقيقى به، أن ينفذوا خططهم باستغلال ذلك الحادث في دعوتهم لنشر التشيع بين الفرس انتشارا عريضا وإثارة نفوس الموالي واستعدادهم على الخلافة الأموية.

هكذا كانت للحركة السبئية آثارها البعيدة المدى في مستقبل الأحداث في الدولة الإسلامية على مدى العصور.

العلاقة بين السبئية واليهود

من الحقائق الثابتة تاريخيا وجود علاقة وطيدة بين اليهود وبين السبئية. تلك الحركة المناهضة للإسلام ، ولانقول ذلك من منطق التعصب للإسلام . فقد أكد تلك الحقيقة كثير من المؤرخين غير المسلمين.

اتفقت المصادر التاريخية على أن عبد الله بن سبأ زعيم السبئية ومؤسس هذه الفرقة يهودي^(١) تظاهر بالإسلام. أعلن سلامه زمن عثمان وقام بدور هدام استمر إبان عصر عليّ وابنه الحسن حتى إتسعت الحركة وامتد أثرها فيما بعد.

تحدث فلهوزن عن العلاقة بين السبئية واليهود فأكد وجود ارتباط وثيق بينهما وذكر أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا كما أكد الأصل اليهودي لفرقة السبئية^(٢) ، وساق الأدلة العديدة على ذلك^(٣) والتي لا يتسع المجال لذكرها هنا. ويتناول أحد المستشرقين المحدثين مدلولات الشعارات التي توجد في المرويات الإسلامية حول موضوع الفتنة فيقول: " سوف نناقش تلك المقولات والشعارات في ضوء الآراء والمصطلحات الموجودة في اليهودية وأرى أن أفضل وسيلة للوصول إلى فهم أفضل لمدلولات هذه المقولات والشعارات لا يكون إلا بمقارنتها بمفردات اليهودية وليس من خلال تفسيرها في ضوء المصطلحات الإسلامية التقليدية الموروثة"^(٤).

(١) الطبري : الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٤٠.

ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ٧٧. واتفقت معهم كل كتب الفرق والملل والنحل.

(٢) فلهوزن : الخوارج والشيعة ص ١٧٠ - ١٧١.

(٣) المصدر السابق ص ١٧١ - ١٧٧.

(4) G.R>Hawting: The Significance of the slogan " la hukm illa lillah " and the references to the hudud in the traditions about the fitna and the murder of Uthman. The Bulletin of the SOAS, University of London, Vol. XLI Part 3, P. 23, 1978.

ويستطرد هوتنج ^(١) فيقول " إن النزاع الذي حدث فى المجتمع الإسلامى الأول أشبه الى حد بعيد - كما نعلم - بالنزاع الذى ساد الفرق اليهودية خلال الفترة الإسلامية المبكرة والذى ينصب على المكانة النسبية للقرآن والسنة".

ثم يوضح ذلك بقوله: " من المهم القول بأن هذه المصطلحات يمكن العثور عليها فى كتابات طائفتين من الطوائف اليهودية وهما بالتحديد طائفة Qumran وطائفة Karaites " ^(٢) ويختتم حديثه قائلا " إن ثمة تشابه كبير بين المصطلحات والآراء اليهودية حول هذه المسائل وبين المصطلحات والآراء التى تزخر بها الروايات الإسلامية التى تتناول عثمان والفتنة ^(٣) ..

ومما يؤكد العلاقة بين السبئية واليهود أن فكرة " الوصى " أو " المهدي " التى أدخلها ابن سبأ على الفكر الإسلامى هى فكرة يهودية ^(٤)، فقد ذكر فلهوزن أن فكرة " المهدي " الذى يعود ويملاً الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا دخيلة - أيضا على الفكر الإسلامى ، ويوضح ذلك قائلا: " إن المهدي هو التنظير العربى للمسيح اليهودى حاكم مملكة السنة الألف . أما يسوع (عيسى) فعلى عكس ذلك يظهر فى يوم الحساب بعد مملكة السنة الألف ^(٥) .

(١) وهو أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية الدراسات الأفريقية والشرقية بجامعة لندن.

(٢) Ibid, p. 454.

(٣) Ibid. p. 460.

(٤) الطبرى: الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٤٠. الأشعرى: مقالات إسلامية ص ٥٠.

فلهوزن: الخوارج والشيعة ص ١٧١ وما بعدها.

(٥) فلهوزن: المصدر السابق .

نخلص من ذلك أنها فكرة يهودية وصلتنا عن طريق ابن سبأ مما يؤكد الصلة الوثيقة بين السبئية واليهود فقد كان ابن سبأ يقول: ان لكل نبي وصي وخليفة فوصى رسول الله وخليفته ليس إلا عليّ وأن الأمة ظلمت عليا وغصبت حقه في الخلافة والولاية ، ويلزم الآن على الجميع مناصرته ومعاوضته وخلع طاعة عثمان وبيعته ، فتأثر به الكثيرون وخرجوا على الخليفة عثمان^(١).

وكذلك فان فكرة الرجعة وتناسخ الأرواح ومبدأ الحلول التي ادخلها ابن سبأ هي من الفكر اليهودي، وكل ما قيل في هذا الشأن إنما هو أصداء لما ورد في سفر أشعيا إصحاح ١١ : ٧، ويؤكد ابن حزم ان هذه الفكرة فكرة يهودية فيقول: " صار هؤلاء في سبيل القائلين بأن إلياس عليه السلام وفنحاس ابن أليعازار ابن هارون عليه السلام أحياء إلى اليوم^(٢) ويرى جولد تسيهر أن فكرة الرجعة تسربت إلى الإسلام عن طريق المؤثرات اليهودية^(٣)، وكذلك يرى بطروشوفسكى^(٤) أن أصل فكرة الرجعة ظهر لأول مرة بين اليهود اتباع التوراة (الإعتقاد برجعة إلياس وأخنوخ) وهذا بالتالي يؤكد الأصل اليهودي للسبئية^(٥).

(١) ابن أعثم الكوفي : الفتوح المجلد الأول ص ٤٠٠ وما بعدها . الأشعري : مقالات الإسلاميين ص ١١.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل مجلد ٣ ص ١٨٠.

المقريزي : المخطوط ج ٢ ص ٤٧٠-٤٧١.

(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام ٢١٥.

(٤) الإسلام في إيران ص ٢١٦.

(٥) المقريزي : المخطوط ج ٢ ص ٤٧٠-٤٧١.

وفكرة الوصاية والولاية لم يأت بها القرآن ولا السنة الصحيحة الثابتة بل اختلقها اليهود من وصاية يوشع بن نون لموسى ونشرها بين المسلمين باسم وصاية على لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وابن سبأ أول من أشهر القول بفرض إمامة على، ويقول النويختي ^(١) أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فاسلم وكان يقول على يهوديته فى يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة فقال فى اسلامه بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك. ويقول الشهرستانى هو أول من أظهر القول بالنص بامامة على رضى الله عنه، تشبعت أصناف الغلاة ^(٢) مما يؤكد العلاقة الوثيقة بين اليهودية والسبئية الرافضة.

وروى صاحب العقد الفريد ^(٣) عن الشعبى انه قال لمالك بن معاوية احذرك الأهواء المضلة وشرها الرافضة فانها يهود هذه الأمة يبغضون الإسلام كما يبغض اليهود النصرانية. ولم يدخلوه رغبة ولا رهبة من الله ولكن مقتاً بأهل الإسلام وبغياً عليهم، وقد أحرقتهم على بن أبى طالب ونفاهم الى البلدان منهم: عبد الله بن سبأ وعبد الله بن سباب، نفاه الى الجازر ^(٤)، وأبو الكروس.

وأورد ابن عبد ربه مقارنة بين اليهود والرافضة توضح مدى التشابه بين الغتتين فى الفكر والعقيدة فيقول ^(٥): قالت اليهود لا يكون الملك الا فى آل داود

(١) فرق الشيعة.

(٢) الملل والنحل. ص ١٧٤.

(٣) ابن عبد ربه ج ٢ ص ٤٠٩.

(٤) الجازر: قرية من نواحي النهروان قرب المدائن. عن العقد الفريد ج ٤ ص ٤٠٩.

ياقوت: معجم البلدان ج ٢ ص ٩٤.

(٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج ٢ ص ٤٠٩ وما بعدها.

وقالت الرافضة^(١) لا يكون الملك إلا في آل علي بن أبي طالب.
وقالت اليهود لا يكون جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح المنتظر وينادي مناد
من السماء. وقالت الرافضة لاجهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي وينزل سبب
من السماء .

واليهود يؤخرون صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم، وكذلك الرافضة واليهود لا
ترى الطلاق الثلاث شيئا وكذا الرافضة.

واليهود لا ترى على النساء عدة وكذلك الرافضة.

واليهود تستحل دم كل مسلم ، وكذلك الرافضة .

واليهود حرقوا التوراة وكذلك الرافضة حرقوا القرآن .

واليهود تبغض جبريل وتقول هو عدونا من الملائكة .

وكذلك الرافضة تقول غلط جبريل في الوحي الى محمد بترك علي بن أبي طالب.

واليهود لا تأكل لحم الجزور ، وكذلك الرافضة.

خطبت عائشة أهل البصرة يوم الجمل خطابا أورده ابن عبد ربه^(٢) تحدثت فيه
عن حق اليهود وتحرشهم بالدولة. وأشارت إلى دور الخليفة الأول أبي بكر في الحفاظ
على الدولة منهم . وخطاب عائشة عن اليهود في ذلك الوقت العصيب إنما يوحى
بصلتهم بما يجري من أحداث.

(١) قيل لهم رافضة لأنهم رفضوا أبا بكر وعمر ، والشيعه دونهم، وهم الذين يفضلون عليا على
عثمان، والرافضة لها غلو شديد في عليّ وهم السبئية أصحاب عبد الله بن سبا وفيهم يقول
السيد الحميري:

قوم علوا في علي لا أبا لهم وأجشموا أنفسا في حبه تعبنا
قالوا هو الله، جلّ الله خالقنا من أن يكون ابن شيء أو يكون أبا
وقد أحرقتهم عليّ بالنار. ومن الروافض المغيرة بن سعد مولى بجيلة، وكان من السبئية
الذين أحرقتهم عليّ بالنار.

ابن عبد ربه: "العقد الفريد ج ٢ ص ٤٠٤-٤٠٨.

(٢) المصدر السابق ج ٤ ص ٣١٤ وما بعدها.

النتائج التي ترتبت على حركة السبئية

١- كان المسلمون قبل الفتنة أمرهم مجتمع ، أحوالهم حسنة جيوش منتصرة. وعدل شامل ورخاء إقتصادي ، ثروة وسطوة لهم السيادة في شبه الجزيرة، والصاعدة نحو السيادة العالمية دولة مرهوبة الجانب كانت الأمة قبل مقتل عثمان علي قلب رجل واحد وجهتهم واحدة لا يفترقون ولا يختلفون في شيء ، فلما قُتل عثمان ظهرت الشيعة وفي مقابلتها العثمانية الذين حملوا على تبعة قتلته والتهاون في شأن قتله. وهكذا افترقت كلمة المسلمين.

ضاعت هيبة الخلافة في ديار الإسلام وحلت محلها الجراة على شخص الخليفة وإمكان الثورة عليه وذلك بعد مقتل عثمان . واختلفت كلمة كبار رجال الدولة وافتترقت وحدتهم وتصدع شملهم.

٢- اندلاع الفتنة في العالم الإسلامي ولم تتوقف حتى بعد مقتل الخليفة عثمان فقد كان لحركة السبئية تأثير كبير على مسار الأحداث في صدر الإسلام فأثيرت قضايا معينة بوجهات نظر مختلفة أطلقوا مصطلحات ومفاهيم وفلسفات متباينة، فقد تخللت وأعقبت الفتنة نزاعات حادة بين رجالات الإسلام آنذاك (مثل معاوية وعلي وعائشة وطلحة والزبير).

فعلى سبيل المثال استخدموا لفظة "اصلاح" لمفاهيم مختلفة فنجد طلحة والزبير يستخدمانها في تحديد أهدافهما في : "وضع الحرب" ويمكن للمرء هنا أن يخلص الى أن " وضع الحرب " مرادف لكلمة "اصلاح" وتقول عائشة حين خرجت إلى البصرة " لقد خرجت الى المسلمين أخبرهم بما فعلته تلك العصاة (قتلة عثمان) وأشرح لهم الحالة التي تركت عليها الناس ومايتحتم عليهم أن يفعلوه " وأن عليهم أن يدخلوا في " اصلاح هذا "

أما الثوار فكلمة " إصلاح " تعنى بالنسبة لهم العودة الى التشريع والحدود المنصوص عليها فى القرآن ووضع السلطة فى أيدى خليفة يتم انتخابه وفقا للتشريع وعن طريق الشورى .

أما على فقد خطب أهل المدينة قائلا: " إن الله سوف يصلح بكم ما أفسد أهل الآفاق " . ومن هذا نرى أن لفظة " اصلاح " استخدمت بمفاهيم متباينة وما ذلك - فى نظرنا - إلا أنه دس " سبى تسلل بين صفوف المسلمين وفعل أفاعيله. وتستمر الفتنة وإختلاف الآراء والأقوال حتى يُقتل على .

٣- توقف حركة الفتوح الإسلامية التي بدأت فى عصر الراشدين، ولن تنشط حركة الفتوح ثانية إلا بعد استتباب الأمر للخليفة الأموى عبد الملك بن مروان لتزدهر فى عهد ابنه الوليد بن عبد الملك ، أى عندما تنتهى الحرب الأهلية بين المسلمين وعندما تتوحد كلمتهم ويتوحد صفهم مرة ثانية. ويترتب على إنحسار حركة الفتوح وقف إنتشار الإسلام وانسياحه فى العالم والحد من سيادته، تلك السيادة التي كانت تؤرق اليهود وتحذ فى نفوسهم كما جاء فى كتاباتهم

Jews formed the majority of the population. The three main Jewish tribes there were defeated by the muslims under Muhammad: two were allowed to leave, but the third, the Qurayza, suffered a harsher fate. The men between 600 and 900 in number, were put to death, the women and children became slaves (627). The following year the Jews of the rich oasis of Khaybar were conquered and made to pay tribute, and this victory paved the way for the establishment of Muslim Supremacy in the peninsula.⁽¹⁾

(1) Nicholas de lange: Atlas of the Jewish State. pp. 38-39.

ولو لم تكن الفتنة لتغير وجه التاريخ، كان من الممكن أن تسير حركة الفتوحات الإسلامية بقوة اندفاعها الأولى وحساس المسلمين الأوائل لنشر دينهم وتبليغ الدعوة. كان من الممكن دخول أوروبا أيضا في الإسلام وكانت فرصة انتشار الإسلام أكبر وأوسع.

ولكن الفتنة والحرب الأهلية في ديار الإسلام، وقعة الجمل ومقتل آلان المسلمين، وقعة صفين وكل ما ترتب عليها من ظهور فرقة الخوارج. ثم بعد ذلك مقتل على بن أبي طالب. وما أدى إليه من قيام الشيعة مطالبين بأحقية ذرية على في الخلافة. ثم ظهور الفرق الإسلامية والجدل بينهم كل ذلك استنفذ طاقة المسلمين وجهدهم وشغلهم عن حركة الفتوحات.

٤- ضرب العقيدة الإسلامية ذاتها بإفسادها بأفكار يهودية غريبة عن الفكر الإسلامي مثل فكرة الوصي^(١) والمهدي أو الامام ومبدأ الحلول والرجعة أي حلول روح الله في على وانتقالها للأئمة بعد ذلك والرجعة، رجعة محمد ورجعة على.

فالتشيع الذي نشره ابن سينا يتطوى بطبيعته على كثير من الاتجاهات التي تخالف السنة مخالفة واضحة تصل إلى العقيدة والمسائل الجوهرية، فتصور الشيعة لطبيعة الأئمة قد أضرحتما وبالضرورة في آرائهم في الوجدانية وفي أسماء الله ووسله وصفاته. وأكثر هذه القضايا مأخوذة عن اليهودية مما يؤكد دور السبئية الفعال.

٥- ترتب على انتشار حركة السبئية تزيق المسلمين إلى شيعة وسنة وما استتبع ذلك من صراع طويل بينهما أبان العصر الأموي والعباسي مما فت في عضد الدولة الإسلامية.

(١) الطبري : الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٤٠.

كما ترتب على الآراء الفاسدة التي نفت سمرها عبد الله بن سبأ أن تفرعت آراء كثير من الفرق، فمن تعاليمه تشعبت أقاويل الغلاة من الرافضة.

٦- التشكيك في القرآن كنص يجب الوثوق به والاستئناء إليه، فقد اتهمت السبئية عثمان بأنه فعل شيئاً في نص القرآن حين جمعه ونسقه بعد أن حرق الصحائف المخطوطة المتباينة ^(١) وصار عثمان بذلك هو الذي نشر نص القرآن بصورته الحالية. استغلت السبئية ذلك وشوهت ما قام به عثمان وصوروا هذا الأمر على أنه لاقى معارضة شديدة من الصحابة ومن رجالات الإسلام بل لاقى استياء كبيراً، فخلقوا بذلك وجهة نظر مؤداها أن عثمان فعل شيئاً في نص القرآن ^(٢) وأذاعوها في الأمصار، وحذير بالذكر أن تلك القضية كانت من الأسباب التي حركت الثورة ضد عثمان ^(٣).

والواقع أن ذلك الإتهام وتلك الدعوى بتحريف القرآن والتشكيك فيه لها أهدافها البعيدة ومراميها الخبيثة لهدم ذلك الدين وعدم التقيد بأحكامه والخروج عن حدود الشرع وفي كل ذلك تقويض للكيان الإسلامي.

(١) المقري : تاريخ المقري ج ٢ ص ١٧٠.

(٢) G.R.Hawting: The Significance of the slogan "la hukma illa lillah" and the References to the hudud in the traditions about the Fitna and the murder of "Uthman".

(٣) ابن اثم الكوفي : المجلد الأول ٤٠٦ وما بعدها.

٧- وبانتشار التشيع وجه إتهام آخر إلى الخلفاء الأول وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم قاموا بتحريف القرآن وتبديله لأغراض في نفوسهم منها إخفاء أمر ولاية علي رضي الله عنه وأن القرآن الصحيح احتفظ به علي ولن يخرج إلى الناس ولن يظهر إلا مع الإمام المنتظر^(١).

٨- اتهمت السبئية عثمان بأنه أبطل أو عطل الحدود وأشاعوا ذلك في الأمصار واستندت على وجه التحديد إلى عدم إقامة عثمان حد القتل على عبيد الله بن عمر لقتله الهرمزان^(٢) كما تقضى بذلك أحكام الشريعة. فالحدود هنا أمر الهي وإقامتها تعنى إقامة كتاب الله كمصدر للتشريع أى الإلتزام بأوامر الشريعة والتمسك بالمفاهيم الإلهية والالتزام بما أمر الله به ونهى عنه. وأن الإتهام هنا بتعطيل الحدود وعرقلتها والدعوة إلى إقامتها إنما تبيّن أن النزاع الحقيقي جرى حول وضع ومكانة كتاب الله كمصدر يُرجع إليه في التشريع أى المكانة النسبية للقرآن والسنة كمصدر للتشريع الإسلامى وأيهما أسبق للآخر في المرجعية.

ومن هذا يتضح هدف السبئية في التشكيك في القرآن والسنة كمصدرين أساسيين في التشريع الإسلامى.

(١) ابن بابويه القمي : كتاب الخصال ص ٨٢ طبعة إيران ١٣٠٢ هـ.

احسان الله طهر : الشيعة والسنة ص ٨٥.

(٢) تاريخ البعت ص ٢ ج ١ ص ١٣٤.

وجدير بالذكر أن المجدل الذي أثارته السبئية حول مكانة القرآن والسنة كمصدرين أساسيين من مصادر التشريع الإسلامي إنما هو انعكاس للصراع الذي احتدم بين الفرق اليهودية^(١). فقد كانت نقطة الخلاف الرئيسية بين فرقة القرائيين وخصومهم من اليهود التلموديين تنحصر في وضع التشريع الشفوي، فبينما يصر القراءون على أن التوراه وهى التشريع المكتوب والمدون هى المرجع الذى لا يحتمل الشك نجد أن اليهود التلموديين يضعون التشريع الشفوي Oral Law فى مرتبة التوراه المكتوبة من حيث المرجعية والمستندية ، فالقراءون يرون أن التلموديين غيروا الحدود بتغيير توراه الله ووصاياه ، وثمة تشابه كبير بين المصطلحات والآراء اليهودية حول تلك المسألة وبين المصطلحات والآراء التى تزخر بها الروايات الإسلامية المتعلقة بقضية الفتنة ومقتل عثمان.

فقد ترددت كثيرا مصطلحات حول هذا المعنى مثل الدعوة إلى "إقامة الحدود" أو الإشارة إلى "تعطيل الحدود" أو "إبطال الحدود" ويبدو أن الاهتمامات بتعطيل الحدود وعرقلتها والدعوة إلى إقامتها إنما يبين أن الغرض الحقيقى للسبئية كانت تشكيك وتقليل أهمية وضع ومكانة كتاب الله كمصدر مرجعى للتشريع خاصة أنهم آثاروا شكوكا حول نص القرآن حين أمر عثمان بحرق المصاحف وأبقى نسخة واحدة.

شعار " لا حكم إلا لله " هو فى حقيقته تجسيد لموقف القرائيين من خصومهم التلموديين فى اليهودية وانعكاس له وصورة من صور الدس السبئى فى حادثة التحكيم لبث الفرقة بين صفوف المسلمين . وعلى ذلك فظهور حركة الخوارج من نتائج حركة السبئية.

(1) G.R. Hawting Op. Cit. P. 459.

المصادر والمراجع أ- أولا العربية والمعرية

- الأصفهاني : الحسن بن عبد الله
- بلاد العرب . تحقيق حمد الجاسر، د. صالح العلي.
الأشعري : ت ٣٣٠ هـ أبي الحسن علي بن إسماعيل
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين.
أحمد أمين :
- فجر الإسلام.
أحمد شلبي: الدكتور
- مقارنة الأديان . ١- اليهود . الطبعة الخامسة ١٩٧٨.
إحسان الهى ظهير:
- الشيعة والسنة (لاهور . الطبعة العاشرة ١٩٨١).
أرنولد : توماس
- الدعوة إلى الإسلام . ترجمة حسن إبراهيم وآخرين . طبعة ١٩٤٧.
ابن الأثير : ت ٦٣٠ هـ . علي بن أحمد بن أبي الكرم.
- الكامل فى التاريخ . الطبعة الثالثة.
ابن أعثم الكوفى : ت ٣١٤ هـ أبى محمد أحمد.
- كتاب الفتوح (طبعة دار الكتب العلمية).
ابن بابويه القمى : محمد بن على بن الحسين.
- كتاب الخصال (طبعة إيران ١٣٠٢ هـ).
بطروشوفسكى :
- الإسلام فى إيران . ترجمة وتعليق د. السباعى محمد السباعى (دار
الثقافة للنشر . القاهرة ١٩٨٢).
البغدادي : ت ٤٢٩ هـ عبد القاهر بن طاهر بن محمد
- الفرق بين الفرق (طبعة دار المعرفة - بيروت).

- البكرى : ت ٤٨٧ هـ عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي
- معجم ما استعجم . طبعة عالم الكتب بيروت.
البلاذري : ت ٢٧٩ هـ أحمد بن يحيى بن جابر
- أنساب الأشراف .
- فتوح البلدان
ترتون : أ. س .
- أهل الذمة في الإسلام . ترجمة حسن حبشي طبعة دار المعارف : ١٩٦٧ .
القمي : ت ٣٣٣ هـ أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام .
- المحن . تحقيق د. عمر سليمان العقيلي . الطبعة الأولى ١٩٨٤ .
جواد علي : الدكتور
- الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام . الطبعة الثانية بيروت .
جوستاف لويون :
- اليهود في تاريخ الحضارات . ترجمة عادل زعيتر . القاهرة ١٩٥٠ .
جولدتسيهر : إجناس
- العقيدة والشريعة في الإسلام .
نقله إلى العربية د. محمد يوسف موسى . د. علي حسن عبد القادر .
عبد العزيز عبد الحق . الطبعة الثانية .
ابن حزم : ت ٤٥٦ هـ أبي محمد علي بن أحمد .
- الفصل في الملل والأهواء والنحل .
المهروطللي : الدكتور علي حسني
- الرسول في المدينة . طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
خليفة بن خياط : ت بين ٢٤٠ - ٢٤٦ هـ أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة
الليثي العصري .
- تاريخ خليفة بن خياط . تحقيق د. أكرم ضياء العمري .

ابن خلدون : ت ٨٠٨ هـ عبد الرحمن بن محمد

- المقدمة

الدينورى: ت ٢٨٢ هـ أبو حنيفة أحمد بن داود

- الأخبار الطوال . الطبعة الأولى القاهرة ١٩٦٠.

دروزه : محمد عزة

- تاريخ بنى إسرائيل . طبعة ١٩٦٩.

الزركلى : خير الدين

الأعلام (طبعة دار العلم للملايين - بيروت)

أبو زهرة : الشيخ محمد

- تاريخ المذاهب الإسلامية .

السيوطى : ت ٩١١ هـ عبد الرحمن بن أبى بكر جمال الدين.

- تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة (الطبعة الأولى).

الشهرستانى :

- الملل والنحل

ابن طباطبا: ت ٧٠١ هـ محمد بن على بن طباطبا المعروف بالطقطقى.

- الفخرى فى الآداب السلطانية . بيروت ١٩٦٦.

الطبرى : ت ٣١٠ هـ أبو جعفر محمد بن جرير.

- الأمم والملوك (الطبعة الثانية)

ابن عبد ربه : ت ٤٣٩ هـ أبو عمر أحمد بن محمد

- العقد الفريد (الطبعة الثانية)

ابن العربى : القاضى أبو بكر.

- العواصم من القواصم.

على إبراهيم حسن : الدكتور

- التاريخ الإسلامي العام.

أبو الفدا : ت ٧٣٢ هـ . عماد الدين إسماعيل

- المختصر في أخبار البشر . طبعة دار المعرفة . بيروت.

فلهوزن : يوليوس

- أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام

ترجمة عن الألمانية د. عبد الرحمن بدوي.

ابن قتيبة : ت ٢٧٦ هـ أبو محمد عبد الله بن مسلم

- الإمام والسياسة.

- المعارف

القلقشندي : ت ٨٢٠ هـ أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله

- مآثر الإنافة في معالم الخلافة . الطبعة الأولى.

كارل بروكلمان :

- تاريخ الشعوب الإسلامية - ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي

(الطبعة الرابعة).

ابن كثير : ت ٧٧٤ هـ الحافظ الدمشقي

- البداية والنهاية . الطبعة الثانية.

المسعودي : ت ٣٤٦ هـ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي .

- التنبيه والإشراف .

- مروج الذهب ومعادن الجوهر.

محمود شاكر :

التاريخ الإسلامي المكتب الإسلامي الطبعة الأولى.

المقريزى: ت ٨٤٥ هـ تقى الدين أبى العباس أحمد بن على .
- المراعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.
طبعة دار صادر بيروت.

محمد خليفة تونسى:

الخطر اليهودى . بروتوكولات حكماء صهيون الطبعة الرابعة.
ترجمة محمد خليفة تونسى.

ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم
- لسان العرب. دار صادر بيروت.

موريس كروزيه وآخرين:

تاريخ الحضارات العام . نقله إلى العربية يوسف أسعد داغر ، فريد م
داغر.

ناجى حسن : الدكتور

- القبائل العربية فى المشرق الطبعة الأولى ، اتحاد المؤرخين العرب.

نصر بن مزاحم : ت ٢١٢ هـ نصر بن مزاحم المنقرى

- وقعة صفين . تحقيق عبد السلام هارون. الطبعة الثانية.

ولفنسون : اسرائيل

- تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام.

القاهرة ١٩٢٧.

ياقوت الحموى : ت ٦٢٦ هـ شهاب الدين أبو عبد الله

- معجم البلدان طبعة القاهرة.

اليوزيكى : الدكتور توفيق سلطان .

- تاريخ أهل الذمة فى العراق. الطبعة الأولى ١٩٨٣.

اليعقوبى: ت ٢٨٢ هـ أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح.

- تاريخ اليعقوبى.

ثانيا الأوربية

Goitein, S.D.: Jews and Arabs. New York, 1955.

Hawting, G.R.

The Significance of the Slogan "La Hukm Illah Lilah" and the References to the Hudud in the Traditions about the Fitna and the Murder of Ulthman. The Bulletin of the SOAS, University of London, Vol. XLI, Part 3, 1978.

Lammens, Henry:

La Mecque a la Veille de L'Hegire Beyrouth, 1936.

Lane-Poole, Stanley:

- A History of Egypt in the Middle Ages. London, 1925.

- The Muhammedan Dynasties. Paris, 1925.

Lewis, Bernard:

The Arabs in History. London, 1950.

Marlgoliouth:

- The Relations between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam. London, 1924.

- The Early Development of Muhammedanism. London, 1914.

Mez, Adam:

Die Renaissance des Islam, Heidelberg, 1922.

Nicolas de Lange:

Atlas of the Jewish State. Oxford, 1984.

Watt, Montgomery:

Muhammed at Mecca. Muhammed at Medina. Oxford, 1956.

The Jewish Encyclopaedia..

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة
٧	تقعيد
١٠	نشأة السبئية
١٦	المرحلة الأولى: السبئية فى خلافة عثمان
١٧	مخطط السبئية ضد الإسلام
١٨	ابن سبأ فى البصرة
١٩	ابن سبأ فى الكوفة
٢٠	ابن سبأ فى الشام
٢٢	ابن سبأ فى مصر
٣٣	المرحلة الثانية: السبئية فى خلافة على
٤١	دور السبئية فى وقعة الجمل
٥٦	رؤية حول وقعة الجمل
٦٤	السبئية فى الكوفة
٧٨	دور السبئية فى وقعة صفين
٩٦	العلاقة بين السبئية واليهود
١٠١	النتائج التى ترتبت على حركة السبئية
١٠٧	المصادر
١١٣	المحتويات

Bibliothèque de la université
General Organization of the Alexan-
dria Library (GOAL)



رقم الإيداع ٤٣٠٥٠/١٩٩١

الترقيم الدولي

ISBN 977-00-1684 -5



Handwritten scribbles or marks, possibly a signature or initials.

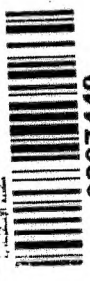
Vertical text or markings along the right edge of the page, possibly bleed-through or a margin note.

V. 1

.29

F 6

Bibliotheca Alexandrina



0207449